الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشعبيّة
وزارة التّعليم العالي والبحث العلميّ
ا جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم -
كليّة الأدب العربيّ والفنون
شعبة الدّراسات اللّغوية والأدبيّة

مطبوع الأمالي

الخاص بمحاضرات مقياس التّداوليّة وتحليل الخطاب

إعداد الدّكتورة: سعاد نكّاع/ أستاذة محاضرة "أ"

مصادقة رئيس القسم	مصادقة رئيس اللجنة العلميّة للقسم	مصادقة رئيس المجلس العلميّ لكليّة الأدب العربي و الفنون	عميد كليّة الأدب العربي والفنون

الموسم الجامعيّ: 2024-2025

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة عبد الحميد بن باديس- مستغانم
University of Mostaganem - Abdelhamid Ibn Badis
كلية الأدب العربي والفنون
Faculty of Arabic Literature and Arts
FLAA
كلية الآداب العربي والفنون
Faculty of arabic literature and Arts
UNIVERSITE
Abdelhamid Ibn Badis
MOSTAGANEM

الرقم: 314/ن ع ب ت/ك.أ.ع.ف/ج.م/2026

شهـــادة مصادقة

المطبوع البيداغوجي (الأمالي) الموسوم بـ :محاضرات في التّداولية وتحليل الخطاب

- بعد الاطلاع على التّقريرين الإيجابين، صادق المجلس العلمي على اعتماد المطبوعة البيداغوجيَّة الأمالي الخاصَّة بالدّكتورة **نكاع سعاد**، مادة: **التّداولية وتحليل الخطاب**

مستغانم يوم 16/02/2026

رئيس المجلس العلمي

أ.د مليكة فرحاتي
رئيس المجلس العلمي
لكلية الأدب العربي و الفنون

الجمهورية الجزائرية الديمقراطيّة الشّعبيّة

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس –مستغانم

كليّة الأدب العربي والفنون

قسم الدّراسات اللّغويّة والأدبيّة

في مقياس: التّداوليّة وتحليل الخطاب

المستوى: سنة أولى ماستر

تخصص: تعليميّة اللّغات

إعداد: د. سعاد نكّاع

الموسم الجامعي: 2024-2025

التقديم

تقع التّداوليّة في مفترق الأبحاث الفلسفيّة واللّسانيّة، فهي وعلى حدّ تعبير فرنسواز أرمينكو درس جديد وغزير، إلّا أنّه لا يملك حدودا واضحة، وبالنّظر إلى طبيعة نشأتها والأبحاث الّتي تكتنفها جلّ الدّراسات التّداوليّة نجد بأنّها جاءت كردّة فعل على الأبحاث البنيويّة، والّتي ركّزت عنايتها على بنيّة النّص وأقصت كل ما يحيط به، في هذه النّقطة بالتّحديد وقفت التّداوليّة لتناقش جلّ القضايا والظّواهر الّتي غُيّبت في ثنايا الدّرس اللّسانيّ والدّلالي، لتُنعت بعد ذلك بسلّة مهملات اللّسانيات.

لكّن، وبعد أن أثبتت التّداوليّة نفسها في أوساط البحوث اللّسانيّة والإنسانيّة بصفة عامّة؛ لم تعد بحاجة لأن تثبت حضورها في وسط الدّراسات اللّغويّة، وذلك بعد أن تمكنّت من اكتساح مختلف الميادين البحثيّة، وأثبتت جدارتها في حلّ كلّ المشكلات والقضايا الّتي وقفت فترة من الزمن على هامش التّحليلات اللّغويّة على عهد لسانيات دي سوسير وعلم الدّلالة.

لا تؤمن التّداوليّة بالمعياريّة والثّباتيّة، وهذا نابع من حقيقة أنّ المجتمعات الإنسانيّة دائمة التّطور والتّغير، لذلك فهي تعدّ من أبرز مجالات الدّراسات اللّغويّة الحديثة الّتي تهتم بفهم كيفيّة استخدام اللّغة لتحقيق التّواصل الفعّال بين المتخاطبين في سياقات مختلفة.

هذه جملة من المحاضرات الموجهة لفائدة طلبة السّنة أولى ماستر تعليميّة اللّغات، نسعى من خلالها إلى تسليط الضّوء على المبادئ النّظريّة والعمليّة الّتي تساعد على تحليل الأبعاد السّيّاقيّة والتّفاعليّة للّغة، كما نهدف من خلالها إلى تمكين الطّلبة من إدراك العلاقة الوثيقة بين اللّغة والسّياق، وفهم آليات التّأثير المتبادل بين المقاصد التّواصليّة للمتخاطبين

وردود أفعال المستمعين، من ثمّ تبيان نجاعة إجراءات الفكر التّداولي في تحليل الخطابات بمختلف أنواعها.

أهداف محاضرات التّداوليّة:

1- تعريف الطّلاب بمفهوم التّداوليّة: تناول نشأتها وتطورها كفرع مستقل في علم اللّغة.

2- فهم السّياق: استكشاف دور السّياق في تفسير المعاني والمقاصد.

3- دراسة أفعال الكلام: مثل الوعد، الطّلب، والتعبير عن المشاعر.

4- التعريف بمبادئ التّعاون والتّلويح: استنادا إلى نظريّة غرايس Grice حول التّعاون والتّلميح

5- تحليل الظّواهر التّواصليّة: مثل الإيحاءات، والاستعارة والسّخريّة.

تتناول هذه الورقات البحثيّة جملة من المحاضرات الخاصّة بمادّة

1- التداوليّة بين المفهوم والاصطلاح.

2- التّداولية: بين النشأة والتطوّر.

3- التّطور والروّاد.

4- علاقة التّداوليّة بالعلوم الأخرى-1-.

5- علاقة التّداوليّة بالعلوم الأخرى-2-.

6- التخاطب والتّداوليّة- المهام والاهتمامات والغايات-.

7- إجراءات التّحليل التّداولي: أ- أفعال الكلام.

8- إجراءات التّحليل التّداولي: ب- الإشاريات.

9- قواعد التّخاطب.

10- الحجاج.

11- جذور التّداوليّة عند العرب -1- .

12- جذور التّداوليّة عند العرب-2-.

13- التّداوليّة وتحليل الخطاب: نص تطبيقي-1.

14- التّداوليّة وتحليل الخطاب: نص تطبيقي- 2.

أهميّة المحاضرات:

1- تعزيز قدرة الطّالب على فهم اللّغة بوصفها أداة تواصليّة معقّدة.

2- تطوير مهارات الطّلبة في تحليل الخطاب وتفسير المعاني المستترة.

3- ربط النّظريّات اللّغويّة بالتّطبيقات العمليّة في مجالات: الإعلام، التّعليم....

جامعة عبد الحميد بن باديس
المجلس العلمي للكلية
كلية الآداب واللغات

محاضرات التّداوليّة تفتح آفاقا جديدة للطّلبة بغية فهم اللّغة بوصفها ظاهرة اجتماعيّة وثقافيّة، ممّا يسهم في تطوير مهارات الطّلاب في التّحليل والتّفسير والتّأويل والتّواصل، إذ ومن خلال هذه المحاضرات يمكن للطّالب أن يتعمّق في أبعاد اللّغة المختلفة ويدرك الدّور الحيوي للسيّاق في تحقيق التّواصل وكشف المعاني.

المحاضرة الأولى:

التّداوليّة بين المفهوم والاصطلاح.

تمهيد:

لقد شهد تاريخ اللسانيات الحديثة تمفصلا تاريخيا أبان عن ظهور اتجاهين مختلفين للدّرس اللّغوي: أوّلهما اتجاه الدراسات اللّغوية الشّكليّة أو الصوريّة، والمتمثل في نظريات اللسانيات العامّة والبنيويّة وغيرها، والّتي أولت عنايتها بتحليل البنيّة اللّغويّة(النّسق) بمعزل عن ملابسات المقام متأثرة بأقوال "دي سوسير" على أن تدرس اللغة لذاتها ولأجل ذاتها. أمّا الاتجاه الثّاني فهو اتجاه عنى بالجانب التّواصلي للخطابات مع مراعاة ظروف المقام المحيطة بالخطاب، ومن بين هذه المناهج الّتي تبنّت هذا التّوجّه: اللسانيات الاجتماعيّة، اللسانيّات الوظيفيّة، والنحو الوظيفي...، إلّا أنّ اكتنافهم هذا المنهج لم يمثل فرقا جذريا عن من سبقوهم إلى أن انبثق المنهج التّداولي من رحم فلسفة اللّغة العاديّة، كمنهج جديد يطمح إلى تحليل الظاهرة اللّغوية بالنّظر إلى طبيعتها الّتي وجدت لأجلها؛ ألا وهي التواصليّة.

بالنّظر إلى طبيعة تكوّن المنهج التّداولي والّذي عُرف بأنّه متداخل الاختصاصات والمعارف، فقد شكّلت مسألة ضبط مفهوم محدّد له فوضى مفاهيم واضطراب اصطلاحي، وفيما يلي نحاول التعريج على بعض من هذه الاصطلاحات والمفاهيم.

1- **المصطلح:** لقد وردت كلمة التّداول في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ﴿سورة آل عمران آية ١٤٠﴾.

أمّا في اللّغة العربيّة فيقال:" تداول النّاس كذا بينهم وأداروه فيما بينهم ومن المعروف أيضا أنّ مفهوم النّقل والدّوران مستعملان في نطاق الملفوظة...فيقال نقل الكلام عن قائله يعني رواه عنه... ويقال دار على الألسن بمعنى جرى عليها... فالنقل والدّوران يدلّان في استخدامهما التّجريبي على معنى الحركة بين الفاعلين... فيكون جامعا بين اثنين هما التّواصل والتّفاعل فمقتضى التّواصل يكون القول موصولا بالفعل"[1] .

إنّ التّداوليّة كوافد غربي؛ مصطلح شائع بين الدّارسين والباحثين بمسميّات متعدّدة إن على مستوى بيئته الأصليّة (الغربية)، أو البيئة المنقول إليّها (العربية)، وهو مصطلح يحمل في اللّغة الفرنسيّة معنيين أساسيّن: (محسوس) و(ملائم للحقيقة). أمّا في اللّغة الإنجليزيّة :" فإنّ كلمة pragmatic تدلّ في الغالب على ما له علاقة بالأعمال والوقائع الحقيقيّة"[2]، وهذه المفاهيم اللّغويّة لها علاقة بمفهوم التّداوليّة كحقل لساني معرفي.

2- تعريف التّداولية

أ/ لغة: جاء في مقاييس اللّغة أنّ: "الدّال والواو واللاّم أصلان: أحدهما يدل على تحوّل شيء، من مكان إلى مكان، والآخر يدلّ على ضعف واسترخاء، فأمّا أهل اللّغة: " تداول القوم إذا تحوّلوا من مكان إلى مكان، ومن هذا الباب تداول القوم الشّيء بينهم إذا صار من بعضهم إلى بعض"، يرجع المصطلح إلى مادّة (دول)، وقد وردت في (مقاييس اللّغة) على أصلين: "أحدهما يدلّ على تحوّل شيء من مكان إلى آخر، والآخر يدلّ على ضعف واسترخاء، فقال أهل اللّغة: اندال القوم الشّيء بينهم: إذا تحوّلوا من مكان إلى مكان، ومن هذا الباب، تداول القوم الشّيء

[1]- طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التّراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ لبنان، ط02، ص244.

[2]- فليب بلانشيه، التّداوليّة من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر حباشة، دار الحوار للنشر ، سوريا، ط01، 2007، ص17.

بينهم: إذا صار من بعضهم إلى بعض، والدّولة و الدّول لغتان، ويقال بل الدّولة في المال والدّولة في الحرب، وإنّما سمّيا بذلك من قياس الباب، لأنه أمر يتداولونه، فيتحوّل من هذا إلى ذاك إلى هذا.[1]

وقال الجوهري أيضا عن المصطلح: "الدّولة بالفتح في الحرب أن تدال إحدى الفئتين على الأخرى، يقال كانت لنا عليهم الدّولة، والجمع الدّول، والدولة بالضم في المال، يقال: صار الفتى دولة بينهم يتداولونه مرّة لهذا ومرّة لهذا، والجمع دُولاتٌ ودُوُلٌ"[2]، ويلاحظ أن المعنى واحد تقريبا، وهو الدّوران والتّعاقب، وانتقاله من شخص إلى آخر أو من مكان إلى آخر.

ومن شواهد استخدامه في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿مَآ أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ القُرَى فَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِذِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دَوْلَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾.[3]

وبيانها: (كي لا يكون) ذلك الفيء (دولة) يتداول الأغنياء منكم بينهم، يصرفه هذا مرّة في حاجات نفسه، وهذا مرّة في أبواب البرّ وسبيل الخير.

وتناوله طه عبد الرحمن هذا المفهوم منهج التّقريب التّداولي للتّراث الإسلامي، باقتراحه مفهوم المجال التّداولي، مما ذكره: «التداول: وصف لكل ما كان مظهر التّواصل والتّفاعل بين صانعي التّراث من عامة النّاس وخاصتهم».[4]

---

[1]- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، ط1، 1991، مج2، ص: 314. وينظر: خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، دار الحكمة للنشر والتوزيع، جامعة سطيف- الجزائر-، ط1، 2009م، ص: 146

[2]- منى فهمي محمد غيطاس، الخطابة والتداولية نحو أداة إجرائية لتلقي النص الخطابي، مجلة الدراية، محكمة علمية، د. ط، العدد 15، 2015 م، ص: 130.

[3]- سورة الحشر، الآية: 07

[4]- طه عبد الرحمان، تجديد المنهج في تقويم التراث، الرباط، المغرب، ط1، 1993م، ص: 148.

ب/ المفهوم الاصطلاحي للتّداوليّة:

إنّ أهم ما يميّز التداوليّة كعلم هو تداخل العلوم والمعارف في نشأته، وهذا ما أكسبه طبيعة الانزلاق فلا هو بمفهوم محدّد ولا هو بمصطلح من ضبط، يقول فرانسواز أرمينكو حول علم التّداوليّة:" التّداوليّة درس جديد وغزير، إلّا أنّه لا يمتلك حدودا واضحة... تقع التّداوليّة كأثر الدّروس حيويّة في مفترق طرق الأبحاث الفلسفية واللّسانيّة"[1]، حقيقيّ بنا الاعتراف بأنّ التّداوليّة كعلم مستحدث لم يلق الاستقرار الاصطّلاحي ولا المفاهيمي حتّى، ذلك أنّ مفهومها تقاذفته مصادر معرفيّة عدّة، وهذا نلفيه واضحا إذا ما نظرنا إلى مصادر تأسيسات مباحثها وإجراءاتها وأفكارها، ولعلّ الاضطراب الذي عرفه مصطلح التّداوليّة راجع إلى ذلك التّداخل والتّقاطع مع العلوم المعرفيّة الأخرى.

تتميّز التّداوليّة بمفاهيمها المتشعّبة في الدّراسات المعاصرة، وتشير هذه المفاهيم إلى الجانب الاستعمالي للغة في السياقات المختلفة، يعني ذلك أنّ التّداوليّة "تشمل جميع المسائل الّتي لا يمكن أن يبحثها علماء اللّغة، وفلاسفة اللّغة في نطاق علم النّظم أو علم الدّلالة"[2] ، وهي بذلك أعلنت تجاوزها للبحث في البنيّة اللّغويّة إلى الوظيفة الإنجازيّة للّغة، أي أنّها تحاول معالجة الظّواهر اللّغويّة من النّاحيّة العمليّة مركّزة اهتمامها بالبحث في العلاقات القائمة بين المتكلم والسّامع، موجهة شرعتها إلى البعد الحجاجي الإقناعي في الخطاب.

على الرغم من أنّ المنهج التّداولي فلسفي المنطلق، إلّا أنّ ذلك لم يمنعه من محاولة البحث في علاقة العلامات بمستخدميها ومؤوليها من جهة وببيئتها الثّقافيّة والاجتماعيّة من

[1]- فرانسواز أرمينكو، المقاربة التّداوليّة، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، 1986، ص07.

[2]- عادل مصطفى، مدخل إلى الهرمو نيطيقا، نظريّة التّأويل من أفلاطون إلى غادامير، منشورات دار النّهضة العربيّة، ط01، 2003، لبنان، ص303.

جهة أخرى، وهي بهذا التّوجه تعلن انقلابا على البحوث المهتمة بالبحث في علاقة العلامات ببعضها البعض (المستوى التركيبي)، أو حتّى علاقة العلامات اللّغويّة بالأشياء (المستوى الدّلالي)، حيث لم تعد التّداوليّة ناجمة عن نظريّة عامة للتّواصل وإنّما عن نظريّة معرفية، وعليه، يتبيّن بوضوح استحالة الإبقاء على علم الدّلالة وحده لحلّ المشاكل المطروحة ومن ثمة ضرورة الأخذ بالمقوّمات التّي تحيط بالاستعمال اللّغوي.[1]

على أساس ممّا تقدم، تكون التّداوليّة صنف من البحوث الّتي لا تفحص اللّغة والكلام من النّاحيّة الصّوتيّة والدّلاليّة والتّركيبيّة، بل تتعدّى هذا إلى محاولة دراسة السّلوك اللّغوي ضمن نظريّة الفعل، فهي إذن: "تعنى بالشروط والقواعد اللّازمة والملائمة بين أفعال ومقتضيات المواقف الخاصّة به. أي العلاقة بين النّص والسيّاق"[2]، وبناء على القول يمكن لنا أن نستقي ثلاث تمثلات للغة:

1- التمثّل الخطابي.

2- التّمثل التّواصلي.

3- التّمثل الاجتماعي.

فيما يلي نورد جملة من التعريفات الشّاملة والملخصة لغيرها من التّعاريف:

1- التّداولية مجموعة من البحوث المنطقيّة اللّسانية، أو هي كذلك الدّراسة الّتي تعنى بدراسة استعمال اللغة، وتهتم بقضيّة التّلاؤم بين التّعبيرات الرمزيّة والسياقات المرجعيّة، والمقاميّة، والحداثيّة، والبشريّة.

[1]- ينظر: العيّاشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التّداول اللّساني، دار الإيمان/ منشورات الاختلاف، المغرب/ الجزائر، ط01، 2011، ص75-76.

[2]- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النّص، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دط، دت، ص24-25.

2- هي دراسة اللّغة في الخطاب بالنّظر إلى الوسميات الخاصة بالخطاب، قصد تأكيد طابعه الخطابي.

3- هي دراسة اللغة بوصفها ظاهرة خطابية واجتماعية وتواصلية، أو هي الدراسة الّتي تندرج ضمن اللسانيات ويهتم باستعمال اللغة[1].

4- أو يمكننا القول أنّها دراسة للمبادئ الّتي تؤهلنا لإدراك غرابة بعض الجمل أو عدم مقبوليتها، أو هي دراسة اللغة في إطارها الوظيفي الاستعمالي، وفهم البنيات الوظيفيّة واللّغويّة بالاعتماد على علل واستدلالات غير لغويّة.[2]

5- كما يمكننا تعريفها على أنّها العلم الّذي يبحث في العلاقة بين اللّغة والسيّاق، أو دراسة لكفاية مستعملي اللّغة في ربطهم اللّغة بسياقاتها.[3]

6- وبالنظر إلى رؤى التّداوليين حول المعنى فإنّنا يمكن لنا أن نقول: إنّ التّداوليّة هي دراسة جوانب المعنى كلّها، الّتي أهملتها النّظريّة الدّلالية، فإذا اقتصر علم الدّلالة على دراسة الأقوال الّتي ينطبق عليها مبدأ الصّدق والكذب، فإنّ التّداوليّة تعنى بدراسة مالا تنطبق عليه شروط الصّدق والكذب من الأقوال. فكون المعنى لا يتوقف على تحقق أو عدم تحقق شرط من شروط الصّدق، يعني اختلافه الجوهري عن الصدق في القضيّة، وتعد هذه الفكرة من أهم أفكار "فتجنشتاين"، فالمعنى في نظره محايد لقضيّة الصدق والكذب.[4]

[1]- فيليب بلانشيه، التّداوليّة من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر حباشة، ص19/18.

[2]- باسم خيري خضير، التّداوليّة وتحليل الخطاب (الرؤى والتمثلات)، الشركة العربية المتحدة، مصر، ط01، 2017، ص31.

[3]- ينظر: إدريس مقبول، الأسس الابستمولوجيّة والتّداوليّة للنظر النّحوي عند سيبويه، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2007، ص264.

[4]- ينظر: جمال حمود، فلسفة اللغة عن لودفيغ فيتجنشتاين، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط01، 2009، ص299.

مفاد القول أنّ التّداوليّة قد تجاوزت كل الأطر والقوانين الصّوريّة والشّكليّة في دراسة اللّغة، فهي ليست علما لغويّا محضا بالمعنى التّقليديّ، والّذي غايته-مناهج اللغة- وصف البنى اللّغويّة والوقوف عند حدود أشكالها الظاهرة والسطحيّة أحيانا. إنّ التّداوليّة علم جديد في دراسة التّواصل الإنساني وكل ما يحيط به من ملابسات، هي دراسة الظواهر اللّغويّة في حدود استعمالها وربطها بمستعمليها والمقامات الواردة فيها.

رغم أنّ التّداولية مبحث لساني جديد، أي حينما تكون متداولة بين مستخدميها، فالتّداولية هي مجموعة من البحوث المنطقية اللّسانية، وهي كذلك للدّراسة الّتي باستعمال اللّغة[1]، وقد رصد للتّداولية تعريف آخر وهو: "أنها تمثّل دراسة تهتمّ باللّغة في الخطاب، وتنظر في الوسيمات الخاصة به، قصد تأكيد طابعة التّخاطبي"، وهو تعريف أتى به أ. م ديلر .A. M) (Dillerو ف. ريكانات (F. Récanati) [2].

ويعرفها ل. سفر هي: "الدّراسة أو التّخصّص الذي يندرج ضمن اللّسانيات، ويهتم أكثر باستعمال اللّغة في التّواصل"[3]، كما هناك تعريف لسانيّ آخر لماري دير وفرانسوا ريكاني بأنّها: "دراسة استعمال اللّغة في الخطاب شاهدة على ذلك مدرتها الخطابية"[4]، وتحدّد أيضا كالتّالي: "هي الدّراسة أو التّخصّص الّذي يندرج ضمن اللّسانيات، باستعمال اللّغة في التّواصل"[5].

[1]- فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2007 م، ص: 18.

[2]- المرجع نفسه، ص: 18.

[3]- المرجع نفسه، ص: 19.

[4]- منى فهمي محمد غيطاس، الخطابة والتداولية نحو أداة إجرائية لتلقي النص الخطابي، المرجع السابق، ص: 131.

[5]- جواد ختام، التداولية أصولها و اتجاهاتها، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2016م، ص: 15- 16.

وتُعرَّف أيضا: «أنّها اتّجاه في الدّراسات اللّسانية، يعني التّفاعل الخطابيّ في الخطاب، ويتبع هذا التّفاعل دراسة كل المعطيات اللّغوية والخطابية المتعلقة بالتّلفظ، وبخاصة المضامين والمدلولات التي يولّدها الاستعمال في السّياق».[1]

فالتّداولية Pragmatics هي دراسة اللّغة قيد الاستعمال أو الاستخدام language use بمعنى دراسة اللّغة في سياقاتها الواقعيّة، لا في حدودها المعجمية، أو تراكيبها النّحويّة، أي دراسة الكلمات والعبارات والجمل كما نستعملها ونفهمها ونقصد بها في ظروف ومواقف معينة.[2]

أمّا إذا ما أردنا تتبع المصطلح في الدّراسات اللّغويّة العربيّة، فإنّ إشكاليّة التّرجمة هي أوّل ما يصادف هذا العلم كعلم جديد وافد على الثّقافة العربيّة، حاله حال بقيّة المصطلحات المنقولة لنا عن فعل الترجمة أو التّعريب. وعليّه، نجد العديد من المصطلحات الّتي تعبّر عن هذا العلم منها: التّداوليّة، علم الاستعمال، علم التّداوّل، البراغماتيّة ، والذّرائعيّة، والنّفعيّة، وكغيره من الاصطلاحات فإنّ اختلاف التّرجمات راجع لاختلاف التّوجهات، ولكن هناك حدّ فارق بين هذه الأخيرة وبين التّداوليّة، ذلك أنّنا نلفي مصطلحين مختلفين، لدينا هما: Pragmatics, Pragmatique مقابل Pragmatisme/ Pragmatism.

يقول عبد الملك مرتاض عن المصطلحين: "وقد اصطنع في العربيّة النّقديّة المعاصرة على أنّه (تداوليّة في حين أنّا نشكّ في أنّه كذلك بهذه الصّفة الّتي ورد عليها، في الأصل الغربي، لأنّ صيغة هذا الاستعمال (Pragmatics, Pragmatique) لا تدلّ على وجود ياء النّزعة المعرفيّة

[1]- عبد الحميد السيد، دراسات في اللسانيات العربية، بنية الجملة العربية، التراكيب النحوية و التداولية، علم النحو و علم المعاني، دار مكتبة الحامدة، عمان، ط 1، 2004 م، ص: 119.

[2]- بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التّداولية، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2005، ص: 15.

(علميّة أو فلسفيّة، أو أدبيّة) والّتي يطلق عليها النّحاة العرب بغير إقناع " الياء الصّناعيّة" فالأجانب يصطنعون صيغة أخرى لما يقابل هذه الياء أو اللّاحقة الثّنائيّة على الأصحّ "ية" (Pragmatisme/ Pragmatism) فكيف نترجم نحن العرب مفهومين اثنين في أصلهما بصيغة واحدة؟... ولذلك نقترح أن نطلق على مقابل المفهوم الأوّل "التّداول" أي تداوّل اللّغة...، وعلى المفهوم الآخر المنصرف إلى النزعة المذهبيّة: "التّداوليّة" وذلك حتّى نطوّع اللّغة العربيّة"[1].

في حين يذهب الدكتور مسعود صحراوي مذهبا مغايّرا لما قاله عبد الملك مرتاض على أنّ التّداولية ترجمة للمصطلحين: المصطلح الإنجليزي The pragmatics بمعنى هذا المعنى اللّغوي التّواصلي الجديد، والمصطلح الفرنسي La pragmatique بنفس المعنى، وليس ترجمة لمصطلح Le pragmatisme الفرنسي، لأنّ هذا الأخير يعني الفلسفة النّفعية الذّرائعيّة أمّا الأوّل فيراد به هذا العلم التّواصلي الجديد الّذي يفسّر كثيرا من الظواهر اللّغوية[2]، ويستخلص في آخر المطاف أنّ التّداولية جديرة بأن تسمّى بعلم الاستعمال اللّغوي.

2-التّداوليّة وتحليل الخطاب:

ترجع الإرهاصات الأولى لنشوء تحليل الخطاب إلى اللّسانيات، إلّا أنّه ما لبث أن انفتح على الدّراسات السّياقيّة بمفهومها الواسع، ومن ثمّ حدث الاندماج بفعل التّأثير والتّأثر مع مقاربات عديدة تشترك معه في الموضوع الواحد، ونقصد به ها هنا موضوع اللغة، هذا التّداخل أحالنا على التعتيم والتّعميّة، فصار من غيّر الهيّن القبض على مصطلح تحليل الخطاب وتحديد مجال اشتغاله، فكان أن أخذ إجراءاته التّحليليّة من المقاربات والنّظريات

[1]- عبد الملك مرتاض، تداوليّة اللّغة لبن الدّلالة والسّياق، مجلّة اللّسانيات، مركز البحوث العلميّة والتّقنيّة لترقيّة اللغة العربيّة، الجزائر، العدد10، 2005، ص66-67 .

[2]- مسعود صحراوي، التّداولية عند علماء العرب، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص: 15.

العلميّة الأخرى، فتشكّلت بذلك علاقة تتراوح بين التّبعيّة أحيانا والتّضمين أحيانا أخرى، فما كان من تحليل الخطاب إلّا أن يتبع مقاربات كالتّداوليّة والأسلوبيّة والسّرديات وغيرها، أو أن يضمّن هذه المقاربات على اعتبار أنّه منهج، وفيما يلي نعرض خمس نقاط نجعلها حدود التّشابه والاختلاف بين التّداوليّة وتحليل الخطاب:

1- يرفض تحليل الخطاب وكذلك التّداوليّة الاشتغال في إطار نظريّة شكليّة للّغة، وينفتحان على السّياق، بيد أنّ هذا الانفتاح مختلف، فتحليل الخطاب، وخاصّة التّحليل النّقدي للخطاب، يميل إلى المظاهر الاجتماعيّة، السّياسيّة، النّفسيّة والتّاريخيّة للسّياق أكثر ممّا تفعله التّداوليّة الّتي تركّز على فقط على سياق الموقف، من خلال المشيرات (الشّخصيّة والمحليّة والزّمانيّة) والأخذ بعين الاعتبار بعض المظاهر الذّهنيّة للسّياق كالاقتضاءات والاستلزامات والمعارف المشتركة والتّصريحات.

2- يميل تحليل الخطاب وكذلك التّداوليّة، وإن بشكل متفاوت، إلى دراسة اللّغة بوصفها فعلا اجتماعيّا أو ممارسة اجتماعيّة، واستعمالا للّغة في السّياق الاجتماعيّ، ومن ثمّ فهما يهتمّان بدراسة الوظائف والمعاني الاجتماعيّة للّغة، لكن يختلفان في أمرين:

أوّلهما: يهتمّ تحليل الخطاب بالإنجاز الملموس للممارسات اللّغويّة، وبالشّروط الاجتماعيّة الخاصّة بإنتاج اللّغة وتوزيعها واستقبالها أكثر من التّداوليّة التّقليديّة (باستثناء التّداوليّة الوظيفيّة)؛ فالتّداوليّة مهتمّة أساسا ببلورة تصنيف مجرّد لأفعال الكلام بالإضافة إلى الفعل التّأثيري.

ثانيا: يمكن الإحالة على ميول تحليل الخطاب إلى الاهتمام المتزايّد بالمظاهر الاجتماعيّة والسّياسيّة والنّفسيّة والتّاريخيّة لاستعمال اللّغة، بخلاف التّداوليّة.

3- يدعو تحليل الخطاب إلى تجاوز الجملة في التّحليل ويرفض التّركيز عليها بوصفها وحدة أساسيّة للتّحليل، وكذلك تفعل التّداوليّة، بيد أنّ هذه الأخيرة تظلّ أعمالها مركّزة على الجمل، سواء تمثّل ذلك في تركيز منظّريّ الأفعال الكلاميّة على الجمل، أو في إهمال التّداوليّين لمكوّنات عديدة لا تملك شكل جمل في تحليلهم للتّواصل. علاوة على كون تحليل الخطاب يركّز على التّعقيدات السّيميائيّة متعدّدة الصّيغ أكثر من التّداوليّة، بالإضافة إلى قضايا النّص وبنيّة الخطاب، الانسجام، الاتّساق، النّوع، التّناص والعلاقات البيخطابيّة.

4- يبدي كلّ من تحليل الخطاب والتّداوليّة نزوعا نحو تضافر التّخصّصات والانفتاح فيما بينهما، لكن تحليل الخطاب يهدف إلى الارتباط ببعد اجتماعيّ نظريّ وتفسيريّ أكثر من التّداوليّة، أي أنّه ذو توجّه ماكرو، وخاصة حينما يحاول أن يربط نفسه بالنّظريّات الاجتماعيّة الكبرى من قبيل: نظريات هابرماس ولومان.

5- يهتم تحليل الخطاب وكذا التّداوليّة بالظّواهر اللّغويّة الميكرو وباستعمال اللّغة الحقيقيّ، بيد أنّ التّداوليّة وفي هذا الصّدد ترتكز على أمثلة مجرّدة ومبتكرة ومبنيّة، وليس على البيانات التّجريبيّة الّتي تحدث بصورة طبيعيّة، وذلك خلافا لما هو حاصل في تحليل الخطاب[1].

[1] -Voir : Reisigl, M (2011) Critical Discourse Analysis and Pragmatics :Commonalities and Defferences. In Christopher Hart. Critical Discourese Studies in Context and Congnition. (Eds). Amesterdam/ Philadelphia : John Benjamins publishing Company, P 20-23.

-المحاضرة الثانية:

التّداولية: بين النشأة والتطوّر

لقد دعت الضرورة على إثر ظهور الطرح التّداولي "تجاوز المهام اللّسانية التّقليديّة إلى فحص منطق الاستعمال ومقتضيات الإرسال، يدعمه في ذلك تحول وجهة البحث في اللّسانيات من حدود الجملة إلى الملفوظ أو المنطوق، كما استقرت عمليات التّحليل النّصي على أنّ عناصر الحدث الكلامي تنضوي على عناصر أخرى غير لغويّة: نفسيّة واجتماعيّة ومعرفيّة وإيديولوجيّة..."[1]، فالتحوّل الجذري في وجهة الطرح أدّى إلى تغير توجّه الدّراسة، إذ صارت التّداوليّة تهتم بدراسة المعنى وفق قصديّة المتكلّم مع العناية بمؤثرات المقام الخارجيّة.

عرف مطلع خمسينات القرن العشرين تحوّلا هامّا في تاريخ الفكر اللّساني الحديث، وتحديدا في إطار التّداولية الّتي كانت بمثابة الدّراسة العامّة، فلقد ظهرت في الغرب ويرجع ظهورها في البداية إلى "السيمياء البراغماتيّة" الّتي أرساها "شارلز ساندرس بيرس"، وطوّرها تلميذه "تشارل موريس"، وقد استقرّ في ذهن موريس أنّ التّداولية تقتصر على دراسة ضمائر المتكلّم والخطاب وظرفي المكان والزّمان، أمّا مرحلة الخمسينات كانت حاسمة في صياغة معالم التّداولية، خاصة مع سلسلة من المحاضرات التي ألقاها أوستن سنة 1955م بجامعة هارفارد حول فلسفة وليام جيمس، حيث بلور في هذه المرحلة مبحثا محوريا تناقلته الدّراسات التّداولية اللّاحقة - خاصة سورل- مداره حول أفعال الكلام، أبان أوستن من خلاله أنّ عددا هائلا من الجمل الخبرية التي تستعمل لا تصف العالم، وإنّما تغيّره أي أنّها جمل عمليّة، مثال

[1]- محمد عديل عبد العزيز علي، التّداوليّة وتحليل الخطاب الجدلي، قراءات تحليليّة في أسس الحجاج وبناء الاستدلال، عالم الكتب الحديث، إربد، ط01، 2016، ص05.

ذلك عندما يتلفّظ الحاجب في المحكمة بجملة "فتحت الجلسة" فإنّ هذا القول يترتّب عن فتح الجلسة فعليا، ولا تختلف هذه الجملة عن "وهبتك مالي" أو "زوّجتك ابنتي". علاوة على محاضرات أوستن كانت جهود بول غرايس هي الأخرى مؤثرة وحاسمة، فبدايات 1938 هي البداية الفعليّة لميلاد التّداولية، وذلك حين تحدّث موريس عن **السيميائيات** في أبعادها الثّلاثة: البعد التركيبي، والبعد السيميائي الدلالي.[1]

1- التداولية: بين التّأسيس والاستقرار.

إذا كانت التّداولية في البداية مجرّد مشروع، ثمّ اكتسبت في مرحلة ثانيّة بعض الأهمية مع أبحاث أوستن وغرايس، وغدت اتّجاها قائم الذّات، فإنّ المرحلة المهمة في تاريخ التّداولية تزامنت مع انفتاحها على العلوم المعرفية والأبحاث المتعلّقة بالذّكاء الاصطناعي، وهي أبحاث غيّرت الوجه العامّ للتّداولية، وأعلنت ما يعرف بالتّداولية المعرفية مع نظرية الملائمة لكسيربر وولسن (1986- 1989)، أمّا "ديكرو" فأضفى على التّداولية بعدا دلاليا، حينما حاول التّأسيس لتداولية مندمجة في الدّلالة ضمن ما يعرف بنظريّة الحجاج في اللّغة، إلّا أنّ الصّعوبات التي واجهتها نظريّته دفعته إلى تبنّي أطروحة الباحثة "ماريون كاريل" المعروفة بنظرية المجموعات الدّلالية، وهي نظرية تنفتّح على النّظرية العامّة لتعدّد الأصوات.

لقد ارتبطت اللّسانيات التّداولية بالفلسفة التّحليلية، فهي تقوم على دراسة كيفيّة توصيل معنى اللّغة الإنسانيّة الطّبيعيّة من خلال الإبداع، وتلك هي المنابع الّتي نشأت فيها التّداولية في الواقع، من خلال أعمال الفيلسوف وعالم الرّياضيات الألماني (فريجه)، ثمّ الفيلسوف عالم الرّياضيات البريطاني (روسل) اللّذان طوّرا الكثير من قضايا الفلسفة

[1]- ينظر: جواد ختام، التّداولية أصولها واتّجاهاتها، ص: 20.

التّحليلية، وهي الّتي أنتجت فيما بعد الفلسفة الأوستينية في اللّغة من خلال تناولها لقضايا التّداولية.[1]

ونشير العناية هاهنا إلى ما تمتاز به الفلسفة التّحليلية في عنايتها الشّديدة بدراسة اللّغة وتحليل المعنى، صحيح، أنّ الاهتمام باللّغة ليس مقصورا على هذه الفلسفة، وأنّ هناك مدارس فلسفيّة معاصرة اهتمت باللّغة أيضا مثل: الفينومينولوجيا، وفلسفة التّأويل، ولكنّ الوضع مع الفلسفة التّحليلية جدّ مختلف، فظاهرة مركزيّة اللّغة في الفلسفة تستبين فيها على نحو أوضح ممّا تستبين في غيرها.

ومنه يمكن تعريف الفلسفة التّحليلية بأنّها «عمليّة يراد بها اكتشاف عناصر موضوع معيّن، من أجل غرض خاص، وهذا يعني أنّ الغرض من التّحليل هو تقليل درجة الغموض من المركبات بتوجيه الانتباه إلى الأجزاء المتعددة الّتي تتركّب منها»[2]. وينقل مهران عن "سكوليموفسكي" ملامح الفلسفة التّحليلية، الّتي تتميّز بالخصائص التّالية:[3]

1- اعترافها بدور اللّغة الفعّال في الفلسفة، أو ما يمكن أن نسمّيه اتّجاهها الشعوري المتزايد نحو اللّغة.

2- اتّجاهها إلى تفتيت المشكلات الفلسفية إلى أجزاء صغيرة لمعالجتها جزءا جزءا.

3- خاصيتها المعرفية.

4- المعالجة البين ذاتية لعملية التّحليل فهي تستخدم نوعا من التّحليل له معناه المشترك بين الذّوات بالنّظر إلى اللّغة التي يتحقّق فيها، واستخدام هذا النّمط يجعلها

[1]- المرجع السابق، ص: 50.

[2]- أحمد عبد الحميد عطية، الفلسفة التّحليلية: ماهيتها مصادرها ومفكّروها، العنبة العباسية المقدسة، المركز الإسلامي للدّراسات الإستراتيجية، 1440هـ، 2019م، ص: 57.

[3]- المرجع السابق، ص: 38.

مميّزة عن الفلسفات الأخرى الّتي تقيم بحثها على تحليلات مختلفة، فالفلسفة الفينومينولوجية مثلا: تتصوّر التّحليل على أنّه: «النفوذ إلى الماهية»، وتتصوّر الوجوديّة التّحليل على أنّه: كشف عن «البعد الوجودي»، فالتّحليل في هاتين الحالتين لا يقوم على اللّغة ولا يرتبط بها بشكل موضوعي، بل بالأحرى يقوم على الخبرة الفرديّة والشّخصية، ويظهر من ذلك أنّ اللّغات –وهي وسائل التّحليلات الذاتية- الّتي لا تقرر فيها معاني الألفاظ إلّا بالشّخص الّذي يستخدم هذه اللّغات لا بدّ وأن تكون عديمة الجدوى بالنسبة لأيّ فلسفة معرفيّة متّسقة.[1]

من بين أهم الحقائق القارة حول الدّرس التّداولي أنّه وبالرّغم من حداثة طرحه، إلّا أنّ طريق التّفكير التّداولي ضاربة بجذورها في تاريخ الدراسات الإنسانية والفلسفيّة على وجه الخصوص، يقول نعمان بوقرّة:" اللّسانيات التّداولية اسم جديد لطريقة قديمة في التّفكير، بدأت معالمها تظهر في التّفكير الفلسفي على يدّ سقراط ثمّ تبعه أرسطو والرّواقيون بعد ذلك، لكنّها لم تظهر إلى الوجود كنظريّة في الفلسفة إلى على يدّ "هربيرت بيركلي" (H.berkeley) ... ثمّ توسّعت في العقود الثلاثة الأخيرة* تغذيها جملة من العلوم، أهمّها الفلسفة التّحليليّة والّتي تمثل ركنها الرّكين على ما يذهب إليه (Francois Recanati) واللّسانيات، والأنثروبولوجيا، وعلم النّفس المعرفي، وعلم الاجتماع"[2].

إنّ الاهتمام بمعالجة اللّغة من وجهة نظر التّداوليّة قد تأخر في ظلّ هيمنة أنظمة التّحليل الشّكليّة المستقاة من حقل الرياضيات، والمنطق، والفلسفة الوضعية، فميلاد

[1]- المرجع نفسه، ص: 41.

*- يقصد بالعقود الثلاثة الأخيرة النصف الثاني من القرن العشرين والّذي يعدّ فترة انتعاش وازدهار الدّرس التّداولي.

[2]- نعمان بوقرة، الخطاب الأدبي ورهانات التّأويل قراءة نصيّة تداوليّة حجاجيّة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط01، 2012، ص70.

التّداوليّة جاء كردة فعل أو انقلاب على المناهج اللّغويّة السائدة آنذاك، والّتي أولت عنايتها بدراسة اللّغة من جميع جوانبها، وقد ضمّت هذه المعالجة جملة من القضايا كالبحث في نشأة اللّغة وتطورها، بالموازاة مع ذلك بحثت هذه الدراسات في تطوّر المعاني وتراكيب الكلمات وأصواتها.

عموما، فإنّ الصبغة الّتي اصطبغت بها هذه الدّراسات هي الصوريّة الوصفيّة من ثمة قصرت النظر على النّاحيّة البنيوية للظاهرة اللّغوية، وقد " أدّت هذه النّزعة إلى قيام تصور لا يولي الاهتمام إلّا إلى الجملة الخبريّة المتضمنة معنى معينا، القابلة للتّحليل المنطقي بالمعنى الّذي يعطيه هذا التّصور للمنطق، كما تأثرت هذه الدّراسات بالتّصور السوسيري البنيوي للنشاط اللّغوي، ...وتقوم البنيوية على جمع الصور اللفظيّة المختلفة داخل أية لغة ثم وصف العلاقات بين تراكيبها المختلفة، على مستوى الروابط والتراكيب، وكذلك عموديا على مستوى العناصر الصرفيّة في اللغة الواحدة"[1].

وإذا ما أردنا أن نؤسّس للظهور الفعلي للتدّاوليّة، نجد أنّها انطلقت بداية وكإرهاصات أوليّة مع أفكار "شارل بيرس" (C.Peirce) عندما كتب مقاله الشّهير عام 1878 "كيف نجعل أفكارنا واضحة"، والّذي يعتبر امتدادا لمقاله "تثبيت العقيدة" الذي نشر سنة 1977، وقد كانت مقالته بمثابة اعتراض على آراء "باركلي" (H. Berkeley) حول مقولاته أنّ الطريقة الوحيدة لتقرير طبيعة المعنى المتميّز لأي لفظ هي أن نسأل: هل نستطيع تعيين أية فكرة عقليّة تتطابق معه؟ ليتوصل في نهاية المطاف: أنّه إذا لم يكن في مقدورنا ذلك فإنّ الحدّ أو اللّفظ مجرد لا معنى له مهما كانت الفائدة الّتي تترتب عليه، وفي مقابل ذلك تمسّك "بيرس"

[1]- باسم خيري خضير، التّداوليّة وتحليل الخطاب "الرؤى والتمثلات"، الشركة العربية المتحدّةط01، 2017، ص19.

بأنّ أيّ حدّ أو لفظ مجرّد لا معنى له إذا لم يكن في مقدورنا استخدامه، أو أن نقوم بفعل شيء بموجبه بطريقة ملائمة ومتميّزة.

وعلى إثر ذلك، ترجح أغلب الدّراسات على انطلاق الاستعمال لمصطلح التّداوليّة كمفهوم كان مع "بيرس"، ذلك أنّ الفيلسوف ومن خلال مقاله " كيف نجعل أفكارنا واضحة" قد تجاوز معيار الصدق والكذب في الحكم على العبارات، ففي نظره توجد في عقولنا أفكار متعدّدة لها مقابلات ماديّة في العالم الخارجي، ومعيار صدقها أو كذبها يكون في مدى تطابقها أو عدمه مع مقابلاتها الخارجيّة، ولكن يوجد في نفس الوقت نوع آخر من الأفكار داخل عقولنا ليس لها مقابل مادي خارجي، وعلى أساس ذلك ما هو معيار الحكم عليها بالصدق والكذب؟ يجيب "بيرس" بأنّ تلك الأفكار إذا كانت تمهّد للقيام بسلوك عملي وتهدف إلى تحقيق منفعة فعليّة وعمليّة، فإنّها حينئذ تكون صادقة، وبدون ذلك فهي كاذبة[1].

إنّ البراغماتيّة عند "بيرس" تربط التّفكير بالفعل، ألّا أنّه يستعبد على أن تكون مجموعة الأفعال المترتبة على اعتقادنا بالشّيء هي المعنى الحقيقي والأصلي لذلك الشّيء، وبالتّالي، وحتّى تكون أفكارنا واضحة وضوحا تامّا في موضوع ما نحن لا نحتاج إلّا إلى اعتبار ما قد يترتب من آثار يمكن لنا تصوّرها، والّتي تحمل طابع العمليّة الّتي يتضمنها الشّيء أو موضوع الأفكار.

من ثمّ فإنّ الاستعمال الفعلي لمصطلح التّداوليّة (pragmatique) نُسِب للفيلسوف الأمريكي "شارل موريس" (Charles Morris)، عندما صدح بمفهوم التّداوليّة القائل بدراسة علاقة العلامات بمستعمليها عام 1938، أي دراسة اللّغة أثناء الاستعمال على اعتبار أنّ اللّغة

[1]- ينظر: سماح رافع محمد، المذاهب الفلسفيّة المعاصرة، مكتبة مدبولي، ط01، 1973، ص51-53.

إنّما هي وسيلة للتواصل، وتعتبر التّداوليّة في نظر "موريس" أحد المستويات الّتي يجب علينا الوقوف عندها أثناء القيام بمعالجة اللّغة، هذه المستويات حسب رأي "موريس" هي:

1- التركيب: La syntaxe: ويعنى بدراسة علاقة العلامات فيما بينها.

2- الدّلالة:La sémantique : ويعنى بدراسة العلامات في علاقتها بالواقع، أو بعبارة أخرى، دراسة علاقة العلامات بالأشياء والموجودات الّتي تدل عليها.

3- التّداوليّة: Pragmatique: وهي تدرس علاقة العلامات بمستعمليها، وظروف استعمالها وآثار هذا الاستعمال على البنى اللغويّة[1].

ويرى موريس أنّ التّداولية أحد الأسس الّتي يقوم عليها علم السيمياء، يقول فرانسوا لاترافارس: "إنّ مجموع المقترحات والتّعريفات والفرضيّات الّتي قدّمها موريس في كلّ المجالات، وتحديد عدد الاحتمالات والخصائص الّتي يمكنها أن تكون ممثّلة الأفكار الجاهزة، ومن ناحية أخرى، دمج المجالات وضمّها، ثمّ تعريف بنيتها بالنّسبة إلى مجموع السيمياء".[2]

من ثمّ ارتبط مصطلح التّداوليّة بمحاضرات الفيلسوف "ويليام جيمس" (William James) (1842-1910) من خلال كتابه المعنون بـ" البراجماتية" والّذي حدّد فيه فلسفته الخاصة في صورتها النّهائية، حيث عرض نظريته حول المعنى والحقيقة، والتّي ربط فيها الفكرة بالسلوك العملي النفعي[3].

[1]- Charaudeau (Patrick), Maingueneau (Dominique), Dictionnaire d'analyse du discours, Paris, Edution du Seuil,2002, p 454.

[2]- خليفة بوجادي، في اللّسانيات التّداولية مع محاولة تأصيلية في الدّرس العربي القديم، ص: 57.

[3]- سماح رافع محمد، المذاهب الفلسفيّة المعاصرة، ص 57.

من خلال ما تقدّم لدينا، يظهر أنّ الانبثاق الفعلي والمرجع الفكري للمنهج التّداولي قد ولد من رحم الفلسفة في مناقشتها ومعالجتها لقضايا اللّغة، وعليه كان ارتباط التّداوليّة بالفلسفة التّحليليّة وبالأخص فلسفة اللّغة العاديّة نتيجة حتميّة.

لقد نشأت التّداولية في ظلّ هذه المكاسب المعرفيّة اللّسانية والفلسفيّة والبلاغيّة، ممّا وسمها بالتّنوع والثّراء الاصطلاحي والإجرائي، ولم تكن مستقرّة إلّا في سنوات الخمسينات من القرن العشرين، بعد الأعمال المذكورة سابقا لأوستين، وسورل، وجرايس وغيرهم، وتبقى مدينة لهذه التّيارات المختلفة الّتي ترتبط أيضا بالفلسفة التّحليلية في معالجة اللّغة بعدّها أهمّ ما يميّز واقع الإنسان، كما أنّها درست قضايا التّداولية المختلفة.

سؤال: كيف يمكن للباحث أن يفسّر الخلفيات المعرفيّة الّتي انطلقت منها التّداوليّة كمنهج في التحليل للظاهرة اللّغويّة؟.

-المحاضرة الثالثة:

التّداوليّة: التّطوروالروّاد

من المعلوم بداهة، أنّ ظهور الدراسات التّداوليّة قد كان بالولايات المتحدّة الأمريكيّة أواخر القرن التاسع عشر ميلادي وتطورت مع نهايات الحرب العالميّة الثّانية، فبعد مخاض منهجي عسير تمكّنت التّداوليّة أن تأخذ لنفسها مكانة بين باقي المناهج القرائية والدّراسات اللّغويّة، خاصة وبعد أن نعتت في بدايات تأسيسها كعلم ومنهج بـ"سلة المهملات"، على اعتبار أنّ المنهج التّداولي لم يكتنف من الدّرس اللّغوي غير المسائل المهمشّة في الدرس النحوي والدّلالي، والتّي في نظرهم لا طائل من تحليلها وتفسيرها.

ما يجدر بنا الإشارة إليه، هو تزامن ميلاد التّداوليّة بظهور العلوم المعرفيّة، وهذا ما أغنى البحث التّداولي بأدوات إجرائية ونظريات تحليليّة ساهمت في تطوره ونقله نقلة نوعيّة، وبذلك تكون التّداوليّة قد "شهدت نموا مطردا في العقود الثلاثة الأخيرة حتّى اتسعت لتشمل ميادين متنوعة، مثل: التّداولية الاجتماعيّة Sociopragmatics، علم اللغة التّداولي Pragmalinguistique، التّداوليّة العامة Général Pragmatics، التّداوليّة الأدبيّة Literary Pragmatics، والتّداوليّة التّطبيقيّة Applied Pragmatics"[1].

حتّى نترصد مسار تطور التّداوليّة ونموها يمكن لنا أن نقف عند مجموعة من التّصورات لعلماء التّداوليّة:

أ- **تصورفرانسوازأرمينكو:** وقد وضع التّداوليّة تتجه في اتّجاهين:

[1]- جورج يول، التّداوليّة، تر: قصي العتابي، الدّار العربية للعلوم ناشرون/ دار الأمان، لبنان/ الرباط، ط01، 2010، ص14.

1-تداولية اللغات الشّكليّة وتداولية اللغات الطبيعية:

نشأت تداوليّة اللغات الشكلية من الاتجاه الكانطي في اللغة، وسرعان ما التقت بتحليل فلاسفة اللغة العادية بدء من السبعينات، بالتّحديد عند كل من "ستالنكر" 1972، ثم هانسون 1974، وقد قامت على مبادئ الفلسفة والمنطق في معالجة العلاقة بين التلفظ وملفوظه، وبين الجمل وسياقاتها من خلال أعمال "فيتغنشتاين"، و"شتراوس" وغيرهما، وامتدّ مجال التّداوليّة إلى دراسة حدس المتخاطبين، والاعتقادات المتقاسمة[1]، في حين تكون تداوليّة اللغات الطبيعيّة قد اشتملت على بحوث دراسة اللغة بوصفها وسيلة وحيدة للتّعبير عن مشكلات الفلسفة والمجتمع.

ب- **تداوليّة التلفظ:** وتتفرع بدورها إلى:

*- **تداوليّة صنيعة التّلفظ:** تتناول التلفظ من حيث هو صناعة وما يدفع إلى صياغته وتشكيله، وتمثلها فكرة ألعاب اللغة لفيتغنشتاين، ومفهوم الأفعال عند أوستين، ثم سورل.

*- **تداوليّة صيغ الملفوظ:** تهتم بشكل الملفوظ وعبارته، ومدى علاقته بالدّلالة المرتبطة بهذا الشّكل أو هذه العبارة وضبط خطوط السيّاق المناسب.[2]

ب- **تصور هانسون:** يعتبر تصور هانسون من بين أهم التّصورات الّتي حملت إحاطة لتوسّعات التّداوليّة وامتداداتها، كان ذلك سنة 1974 حينما حاول أن يقدم نموذجا لشرح تطور الدرس التّداولي في تعلّقه بمسألة السّياق، ليصل إلى وضع التّداوليّة في درجات:

[1]- ينظر: فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علواش، ص35-36.

[2]- ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التّداوليّة –مع محاولة تأصيليّة في الدرس العربي القديم، ط01، 2008، بيت الحكمة، الجزائر، ص78/77.

1- تداوليّة الدّرجة الأولى: هي دراسة للرموز الإشارية، أو التعابير المبهمة ضمن ظروف استعمالها، ويقصد بها دراسة الموجودات ضمن السّياق الّذي وردت فيه (متخاطبين، معطيات الزمان والمكان،...)، وينعكس هذا التوجّه في أعمال دارسي الإشارة والرمز من بينهم: بيرس، روسل، قيومن، كودمان، بارهييل، بول كوشي، وغيرهم.

2- تداولية الدرجة الثّانيّة: تتمثل في دراسة مدى ارتباط الموضوع المعبّر عنه بملفوظه؛ أي دراسة حجم ما يبلغه المتكلّم من دلالات في الملفوظ الّذي يؤدي ذلك، ومدى نجاحه أو إخفاقه، وسياقها في هذه الحال يكون أوسع من سابقتها، إذ يتعدّى الموجودات ليبحث في نفسيات المتخاطبين وحدسهم أو حتّى مقصدياتهم، والاعتقادات المشتركة بينهم. وهي بذلك تلتفت إلى البحث في شروط التواصل والتمييز بين المعنى الحرفي والمعنى التواصلي كما يسميه "ستالناكر وجاك"، أو كما يصطلح عليه "سورل" بالمعنى الحرفي والمعنى السّياقي، أو كما هو عند "ديكرو" المعنى الحرفي والمعنى الموضوعي.

3- تداوليّة الدّرجة الثّالثة: تتمثل في نظرية أفعال الكلام، بوصفها أفعالا منجزة من جانب المخاطِب بغية التّأثير في المخاطَب، ولا يتحدّد الفعل الكلامي إلا من خلال السّياق الّذي يتكفل بتحديد جديّة التّلفظ أو الدعابة، أو إنجاز فعل معيّن[1].

2- روّاد التّداوليّة:

يرجع أغلب الباحثين في حقل التّداوليّة على أن فضل السّبق في إعلان ميلاد التّداوليّة للفيلسوف "ويليام جيمس"(1842-1910) من خلال:

1- الاهتمام بالجانب النفعي.

[1]- ينظر: فرانسواز أرمينكو، المقاربة التّداوليّة، ص38. وينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التّداوليّة، م.س، ص79-82.

2- ربط الفكرة بطابعها المنفعي في الواقع.

3- ربط الفكر بالواقع العملي والممارسة الواقعيّة[1].

في حين يعتبر الفيلسوف الأمريكي "بول غرايس" عرّاب التّداوليّة، و ذلك من خلال إلقائه لمحاضرات "ويليام جيمس" بجامعة "هارفرد" سنة سبع وستين تسعمائة وألف 1967، والّتي اعتبرت نقطة انطلاق للدرس التّداولي. لقد ذهب "غرايس" إلى أنّ الكثير من الألفاظ لن تجد تفسيرها في المنهج الدّلالي، ولكن في منهج تحادثي- أو تداولي، فما يميّز التّفسير التّداولي هو طبيعته الاستدلاليّة؛ أي أنّ السامع ينبري بالتّوصل إلى استدلالات عن المعنى الّذي قصده المتكلم اعتمادا على شيئين:

الأول: معنى ما قاله المتكلم.

الثّاني: الافتراضات المسبقة أو السياقية والمبادئ التّواصليّة العامة الّتي يتبعها المتكلم عادة على اتباعها أثناء المحادثة، وبهذا يصل السّامع إلى "تضمينات" ما قاله المتكلّم.

وبعد أن أخذت التّداوليّة تموقعها وسط الدّراسات اللغوية أصبح في مقدور الباحثين أن يتحدّثوا عن مجموعة من التّداوليات بتيارات مختلفة، إذ لم تعد التّداوليّة تداوليّة واحدة، وهنا يمكننا أن نفصّل القول بأنواع التيارات التّداوليّة الّتي سادت في الغرب:

1- تيار موريس: الّذي يتزعمه كل من بنفنيست، ولاينس، وأوركشيوني، وقد ركّز هؤلاء على نظريّة التّلفظ، فربطوها بالسياق التواصلي الّذي يبنى على المعينات(أسماء الإشارة، الضمائر، أداة التّعريف...)، والزمان والمكان، والصيغ العاطفية والانفعالية، وتعابير

[1]- ينظر : فرانسواز أرمينكو، المرجع السابق، ص13.

الوجه (جهة الضرورة و الإمكان، وجهة المعرفة، وجهة الفعل، وجهة الكينونة والظهور).

2- فلاسفة أوكسفورد: "أوستين وسيرل وغرايس". اهتم هذا التيّار بنظرية أفعال الكلام، بمعنى أنّ الفعل الكلامي يؤدي إلى تحول وضع المتلقي، وتغيير نظام معتقداته، وتبديل مواقفه السّلوكية.

3- نظريات تداوليّة أخرى، وروادها: "فان ديك، هاليداي ورقية حسن، وأحمد المتوكل" اهتموا بالنظريّة التّخاطبية، النظرية التفاعليّة، والنّظرية الحجاجية، والنظرية التلفظية، ونظرية المقصدية، والنظرية التوليدية الوظيفية.

4- التيّار السّردي: مع غريماس، وجوزيف كورتيس، وجماعة أنتروفين.

5- وهناك المقاربة التّأويليّة مع "بول ريكور" الّذي اهتمّ بالإحالة السياقيّة، ومدرسة فرانكفورت الّتي اهتمت بدورها بالسيّاق ا التواصلي مع "هبرماس"[1].

6- تيار إيرفينغ غوفمان: ركّز هذا الاتّجاه على التّفاعل الوجاهي وأثره في تشكيل السّياقات التّداوليّة.

7- تيار ديل هايمز: أسّس لمفهوم "الكفاءة التّواصليّة communicative compétence مشيرا إلى أنّ الكفاءة اللّغويّة لا تقتصر على قواعد اللّغة بل تشمل القدرة على استخدام اللّغة بفاعليّة في السّياقات الاجتماعيّة .

[1]- ينظر : جمبل حمداوي، التّداوليات وتحليل الخطاب، شبكة الألوكة www.alukah.net، ص08.

-المحاضرة الرابعة:

علاقة التّداوليّة بالعلوم الأخرى-1-

تمهيد:

سبق لنا الإشارة أنّ نشأة التّداوليّة توافقت ونشأة العلوم المعرفيّة، ثم إنّ منبثقها أو مرجعيتها الفكريّة في حدّ ذاتها محلّ نقاش وجدال، فغالبا ما يطرح السّؤال التّالي: هل التّداوليّة منهج فلسفي أم لساني التوجه؟ ولكلّ وجهة نظره في الإجابة عن الموضوع.

إنّ أهم تغيّر شهده القرن العشرين، هو التغيّر الجذري في الطرح للحقل الفلسفي في طريقة التّفكير، حيث انتقل من البحث في تكون المعرفة حول الأشياء والكون إلى البحث في اللغة، هذا التحول هو ما أسفر عنه التغيّر في طرائق الدراسة والّتي انتقلت إلى الطريقة التّحليليّة، هذا ما أنتج لنا تغيّر في وجهة الدراسة من البحث في معرفة العالم/الكون إلى البحث عن طبيعة التّصورات الّتي يبنيها الإنسان حوله انطلاقا من اللغة.[1]

إنّ ما أسفرت عنه الفلسفة التّحليليّة هو ظهور اتّجاه فلسفة اللغة العاديّة Philosophie de Langage ordinaire، وهي فلسفة تنطلق في أساسها من ضرورة الاهتمام باللغة الطبيعيّة العاديّة باعتبارها السّبيل الأهم إلى فهم القضايا الّتي يطرحها هذا الحقل، إذ لا يكون البحث الفلسفي مجديا ما لم يتّخذ "اللغة" موضوعا للدّراسة الفلسفيّة، وقد كان توجه فلسفة اللغة العاديّة منبثق الفكر التّداولي لاهتمامه باللغة العاديّة أثناء عمليّة التّواصل.

[1]- ينظر: مسعود صحراوي، التّداوليّة عند العلماء العرب، دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التراث اللّساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط01، 2005، ص37.

وإذ كان للتداوليّة علائق انبثاق من حقل الفلسفة، فهذا لا ينفي عنها تشابكها وتداخلها مع علوم أخرى كاللسانيات وعلم الدّلالة وعلم النّفس وغيرها، ويمكن لنا أن نستشف هذه التّداخلات إمّا من خلال المفاهيم والاصطلاحات الّتي تبنتها التّداوليّة، أو من خلال طرائق التّحليل الّتي اعتمدتها لأجل الوصول إلى معنى الخطاب وإدراك قصديّة وغاية المتكلّم.

1- علاقة التّداوليّة باللّسانيات:

إذا ما أردنا الحديث عن علاقة التّداوليّة باللّسانيات فيكفينا أن ننظر للمادة المدروسة ألا وهي اللّغة، ولكن باكتناف التّداوليّة لمباحث متعلّقة بتفسير المحادثات كأفعال الكلام، ومبدأ التأدب، ومبدأ التّعاون فقد انضوت تحت نمط التّحليل الفلسفي البراغماتي، إلى أن اكتسبت التّداوليّة استقلالها وأصبحت فرعا من فروع اللّسانيات باختلاف مستواها في التّحليل عن باقي المستويات: الصوتي، التّركيبي، والدّلالي.

ترتبط التّداوليّة باللّسانيات بشكل وثيق، حيث تعدّ التّداوليّة في مرحلة من مراحل نشوئها فرعا من فروع اللّسانيات الّتي تهتم بدراسة اللّغة في سياق استخدامها العمليّ، إذ تركز التّداوليّة في دراستها على تحليل كيفيّة استخدام اللّغة في التّواصل اليوميّ، بينما تدرس اللّسانيات اللّغة كنظام شامل، يشمل الأصوات (الفنولوجيا)، والكلمات (الصّرف)، والجمل (النّحو)، والمعاني (الدّلالة)، وتضيف التّداوليّة بعدا وظيفيّا آخر يتعلّق بالسّياق، المقاصد، العلاقات الاجتماعيّة، وتأثير المتحدّث في المستمع.

انطلاقا من تحديدات دي سوسير بين ثنائية اللسان والذي هو خاص بالجماعة، والكلام الّذي هو متعلّق بالفرد المتكلّم، من هذه النّقطة بالتّحديد انبثق اهتمام التّداوليّة بالكلام الّذي هو غير اللّسان، وقد استثناه سوسير من الدراسة وحجّته في ذلك أنّ "اللّغة

تختلف عن الكلام في أنّها شيء يمكن دراسته بصورة مستقلة"[1] ، يعني ذلك أنّ اللسانيات والدراسات ذات التّوجه الصّوري البنيويّ تلفي عنايتها بالجانب الشّكلي للغة؛ أي النظر إلى بنيات النّظام اللّغوي، وما تعنيه عبارة "بصورة مستقلّة" أي أنها تقصي كل ما هو خارج عن السّياق اللّغوي: كمراعاة أحوال المتكلم ومقاصده وسياق التّلفظ وغيرها من القضايا الّتي أصبحت عدّة الدّرس التّداولي: كالإشاريات، ومتضمّنات القول، والافتراضات المسبقة.

وحتّى نتوضّح العلاقة القائمة بين التّداوليّة واللّسانيات لنعد النّظر في ثنائيّة اللغة/الكلام، على اعتبار أنّ التّداوليّة تهتّم بتحليل ظاهرة الكلام، فإنّ "الكلام ليس معزولا عن اللّغة إلّا افتراضا، فاللّغة لا تتحقّق إلّا في مستوى الكلام، وتبقى حاملة لأهمّ خصائص من يؤديها، مهما اجتهد في تجاوز ذلك. فالكلام -إذا- مظهر من مظاهر تحقق اللّغة واقعا، ودراسته هو دراسة الواقع الفعلي للغة، والتّداخل واضح بينهما، مما يفرض الحاجة إلى دراسة متكاملة"[2]، وحتّى نتمكنّ من تجسيد مبدأ التّكامل بين العلمين "اللسانيات والتّداوليّة" وجب منا:

أولا: الاهتمام بدراسة نظام اللّغة، بالقيام بوصف النّظام وشرح شروطه وقوانينه الّتي تمثّل منظومة مشتركة بين النّاطقين بهذه اللّغة، وقد لا تختلف في ذلك الوصف ولا نتائجه، ونحن هنا نحقّق كينونة الدراسة اللّسانيّة، ومن وجهة نظر أخرى: نقوم بدراسة استعمال اللّغة مقابل دراسة نظام اللّغة، وهنا يجدر بنا الإشارة إلى أنّ مصطلح "استعمال اللّغة" له

العلمي للكلية

[1]- فرديناند ديسوسير، علم اللغة العام، تر: يوئيل يوسف عزيز، دار الكتب للطباعة والنشر، العراق، 1988، ص33.

[2]- خليفة بوجادي، في اللّسانيات التّداوليّة-مع محاولة تأصيليّة في الدّرس العربي القديم، ص123-124.

تأثيراته على التّواصل وعلى النّظام اللّغوي نفسه، وهذه التّأثيرات وما ينتج عنها هي أولى اهتمامات التّداوليّة[1].

من ناحيّة أخرى، يمكن لنا الوقوف عند حدود تلاقي النّظريّة اللّسانيّة والنّظريّة التّداوليّة ركحا على ما قدّمه (Chomsky) حول مفهوم الكفاءة والأداء في كون الكفاءة: هي معرفة المتكلم/المستمع بلغته، في حين يكون الأداء: هو الاستخدام الفعلي للّغة في حالات حقيقيّة، وبالتّالي تقترن التّداوليّة بالنّظريات اللّسانيّة خاصة التوليديّة التّحويليّة منها في مفهوم الأداء.

أخيرا ما يمكننا قوله، هو أنّ العلاقة القائمة بين اللسانيات والتّداوليّة والّتي هي محلّ أخذ وردّ، نقول: إنّ مجموع النّظريات اللّسانية من البنيويّة إلى التوليدية قد أكّدت تقريبا أهميّة اللسانيات الّتي تنحصر في دراسة نظام اللّغة في جانبه الشّكلي والدّلالي (صوتيا، صرفيا، نحويا، دلاليا)، وكلّها تحيلنا إلى نتيجة أنّ مهمّة اللّسانيات تتلخّص في دراسة طرق التّنظيم بين مجموع الأصوات ومجموع المعاني، بين الشّكل وبين المعنى بتعبير أوجز[2]، إلاّ أنّ التّداوليّة وأثناء دراستها للّغة المستعملة فهي تتجاوز حدود البنية وعلاقتها بالمعنى، لتبحث في مجالات أكبر كالملفوظية، والحجاج، ومظاهر الاستدلال في اللّغة، والتّضمين، والاقتضاء، وغيرها من مباحث التّداوليّة الّتي قسر عن دراستها الدّرس اللّساني الشّكلي.

في الأخير ومن خلال جماع العلاقة بين الاتّجاهيّن نتوصل إلى أنّ نقاط الالتقاء بين هذين العلمين تتمثّل في:

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ص124.

[2] - J.Mochler et anne reboule : Dictionnaire encyclopédique de Pragmatique, seuil, France, octobre, 1994, P18-20.

- المعنى: اللّسانيات تهتم بالمعنى المجرّد (الدّلالة)، بينما التّداوليّة تركّز على المعنى في السّياق (المعنى التّداوليّ)، مثلا جملة: هل يمكنك فتح النّافذة؟ قد تفهم دلاليا كطلب عن القدرة، لكنّها تداوليّا تعني طلبا مباشرا.
- السّياق: التّداوليّة تعتمد بشكل أساسيّ على فهم السّياق (المكانيّ، الزّمانيّ، الاجتماعيّ) لتفسير المعنى، وهذا يكمّل الدّراسة البنيويّة للغة في اللّسانيات.

أمّا عن الفوارق بين التّداوليّة واللّسانيات فيمكن أن نقف على أنّ:

- اللّسانيات تركّز على بنيّة اللّغة وقواعدها بشكل مجرّد.
- أمّا التّداوليّة فتركّز على الاستخدام الواقعيّ للّغة في التّفاعل الاجتماعي، بالتّالي يمكن لنا اعتبار التّداوليّة جسرا بين اللّغة كنظام مجرّد (موضوع اللّسانيات) واللّغة كوسيلة للتّفاعل الإنساني.

2- علاقة التّداوليّة بالنّحو الوظيفي:

كمحاولة لرصد العلاقة بين التّداوليّة والنحو الوظيفي، نجد أنفسنا نعود إلى التقسيم الّذي عرفته النّظريات اللسانية، فالقسم الأوّل ضمّ نظريات لسانية صوريّة تبحث في البنية اللّغويّة المستقلّة على حدّ تعبير سوسير. أمّا القسم الثّاني فقد مثّلته نظريات لسانية وظيفيّة. قد انضوى النّحو الوظيفي تحت القسم الثّاني سابقا التّداوليّة في ذلك.

تأسيسا على ما سبق، أُعتبِر النّحو الوظيفي رافدا من روافد الفكر التّداولي إلى جانب الفلسفة التّحليليّة والنّظريات اللّسانيّة وحتّى علوم المعرفة، فلقد ذهب بعض الباحثين من أمثال (سيمون ديك، وأحمد المتوكل وغيرهما) إلى عدّ الوظيفيّة كمفهوم يقابل التّداوليّة، وذلك انطلاقا من مبدأ أنّ خصائص بنيات اللّغات الطّبيعية تتحدّد من ظروف استعمالها، ثمّ

إنّ أحمد المتوكل يرجع إلى أنّ النّحو الوظيفي الّذي قدّمه "سيمون ديك" في سبعينات القرن الماضي أنّ يجمع بين المقولات النّحويّة المعروفة، وبين ما عرضته نظرية أفعال الكلام[1].

إنّ النّحو الوظيفي هو مقاربة لغويّة تهتمّ بوصف اللّغة بناء على وظيفتها التّواصليّة، حيث ينظر إلى اللّغة كأداة لتحقيق أغراض تواصليّة في مواقف اجتماعيّة، يركّز النّحوّ الوظيفيّ على:

- المعاني والدّلالات (Sémantics) الّتي يعبّر عنها النّحو.
- السّياقات الاجتماعيّة والتّواصليّة الّتي تستخدم فيها اللّغة.
- الوظائف الّتي تؤدّيها البنى النّحويّة، مثل التّعبير عن الموضوعيّة، أو التّوضيح، أو السؤال.

وعلى هذا الأساس تكون العلاقة بين التّداوليّة والنّحو الوظيفيّ تنبني وفق ثلاث محاور:

1- السّياق: كلّ من التّداوليّة والنّحو الوظيفي يهتمّان بالسّياق، إلّا أنّ التّداوليّة تركّز أكثر على تفسير المعنى وفقا للسيّاق (مثل الإشارات والسّياق الاجتماعي)، بينما يهتمّ النّحو الوظيفيّ بكيفيّة تشكيل البنى النّحويّة لتحقيق غايات وظيفيّة معيّنة.

2- الوظيفة التّواصليّة: النّحو الوظيفي يعتبر اللّغة أداة تواصل، وهو مفهوم مشترك مع التّداوليّة، حيث يُنظر إلى الوظيفة اللّغويّة من حيث تأثيرها على المتلقي.

جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم
المجلس العلمي للكلية

[1]- ينظر: أحمد المتوكل، الوظائف التداوليّة في اللّغة العربيّة، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، المغرب، ط01، 1985، ص08-10

3- الاهتمام بالمتحدّث والمُخاطب: يتناول كل من التّداوليّة والنّحو الوظيفيّ دور المتحدّث والمخاطب في تحديد وتفسير المعنى، خاصّة في ما يتعلّق بنوايا المتحدّث وردود فعل المخاطب.

مثال:

في التّداوليّة: دراسة الجملة "هل تستطيع إغلاق النّافذة؟" تركّز على قصد المتكّلم، إذ من الممكن أن يكون فحوى الجملة ليس السؤال عن المقدرة وإنّما طلبا بفتح النّافذة. أمّا في النّحو الوظيفيّ: ينظر إلى نفس الجملة من حيث الوظيفة الّتي تؤديها البنيّة النّحويّة لتحقيق الهدف التّواصليّ.

يورد "أحمد المتوكل" جملة المبادئ المنهجيّة الأساسيّة والمعتمدة في النحو الوظيفي، نوردها على التوالي:

- وظيفة اللّغات الطبيعيّة – الأساسيّة- هي وظيفة التّواصل.
- موضوع الدّرس اللّساني هو وصف "القدرة التّواصليّة" للمتكلم- المخاطب.
- النّحو الوظيفي نظريّة للتركيب والدّلالة منظورا إليهما من وجهة نظر تداوليّة.
- يجب أن يسعى الوصف اللّغوي الطّامح لتحقيق الكفاية إلى تحقيق أنواع ثلاثة من الكفاية:

أ- الكفاية النّفسيّة.

ب- الكفاية النّمطية.

ج- الكفاية التّداوليّة.

يخرج النّحو الوظيفي النّظر إلى اللّغات الطبيعية من قالب النّمطيّة الصوريّة إلى جهة الاستعمال والتّواصل، كون الوظيفة الأساس للغة هي التواصل، ثمّ إنّ النحو الوظيفي يعطي

مفهوما آخر لثنائية القدرة/الانجاز لينتج مفهوما آخر هو "القدرة التّواصليّة"، فلا يكفي للمتكلّم معرفته للقواعد الصوتيّة والتّركيبيّة والدّلاليّة للغة، ذلك القدرة التواصليّة تعني معرفة القواعد التّداوليّة للتواصل بالإضافة إلى القواعد السابق ذكرها، والّتي من خلالها مجتمعة يستطيع المتكلّم الإنجاز في طبقات مقاميّة معيّنة، قاصدا تحقيق أهداف تواصليّة محدّدة[1].

خلاصة القول، إنّ النّحو الوظيفي قد حمل دعاوى بالنّظر إلى الأبعاد التّداوليّة على أنّها علاقات قائمة بين مكوّنات الجملة، حالها حال الأبعاد التّركيبية والدّلاليّة الّتي تحكم علاقات الجمل، وحتّى نصل إلى تحليل متكامل وشامل وجب إدراج الوظائف التّداوليّة ضمن أطر التّحليل، سعيا لتحقيق كفاية تداوليّة، ومادامت الغاية الأساسيّة من الكلام هي إحداث التواصل والتفاهم بين فئات المجتمع، كان لزاما توسيع مجالات التّحليل لتشمل كل ما يحيط بالخطاب من ظروف خارجيّة وهذا ما اقترحه "سيمون ديك" حينما نادى بنحو وظيفي ضمن نظريّة تداوليّة وُسعى، تجمع مختلف نظريات التّواصل اللّغوي.

[1]- ينظر : أحمد المتوكل، الوظيفة التّداوليّة، المرجع السابق، ص10-11.

المحاضرة الخامسة:

التّداوليّة وعلاقتها بالعلوم الأخرى-2-

3- علاقة التّداوليّة بعلم الدّلالة:

علم الدّلالة هو العلم الّذي يختص بدراسة المعنى[1]، وإذا كانت التّداوليّة تدرس علاقة العلامات بمستعمليها، فإنّ الدّلالة تدرس علاقة العلامات بالأشياء الّتي تدل عليها، وكونه فرع من فروع اللّسانيات فعلاقته بالتّداوليّة لا تخرج عن نطاق علاقتها باللّسانيات، إنّهما كعلمين يدرسان العلامة، يلتقيان أحيانا ويفترقان أحايين أخرى، فـ"كلّ من التّداوليّة وعلم الدّلالة يبحث في دراسة المعنى في اللّغة، ...وهما وإن اشتركا في الموضوع (دراسة المعنى)، فقد يختلفان في العناية ببعض مستوياته"[2] ، ومن وجهة نظر أخرى، هناك من الباحثين من يجعلون التّداوليّة امتداد للدّرس الدّلالي على نحو ما يذهب إليه "لاترافارس" F.Latraverse[3] . من ثمّ فحدود العلاقة بينهما لم تتضح إلّا بعد انتشار محاضرات أوستين، والّتي كان أولى ثمارها التمييز بين مجاليهما[4].

إنّ أوّل ما يمكن أن يبيّن حدود العلاقة بين التّداوليّة وعلم الدّلالة: فكرة (القدرة) و(الأداء)، حيث يصنّف علماء اللغة باتفاق، علم الدّلالة ضمن القدرة (معرفة اللّغة)، أمّا التّداوليّة فتصنّف ضمن الشّق الثّاني المتضمن للأداء، الإنجاز واستخدام اللّغة[5]، بناء على

---

[1]- أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، عالم الكتب، القاهرة ط02، ص11.

[2]- خليفة بوجادي، في اللسانيات التّداوليّة- مع محاولة تأصيليّة في الدرس العربي القديم- ص 127-128.

[3] - F. Latraverse, La pragmatique (histoire et critique),p43.

[4] - D.Maingueneau, pragmatique puor le discours littéraire,p05.

[5]- ينظر: جون ليونز، اللغة والمعنى والسياق، تر: عباس صادق الوهاب، سلسلة المائة كتاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط01، 1987، ص31-32.

دعوى من هذا، تقوم التّداوليّة على التبعية لعم الدلالة الذي يعرف شروط المعنى وحقيقة هذه الشّروط؛ وتهتم التداولية بعد ذلك بدراسة هذه الشروط حين تربط المعنى بالاستخدام، وتحدد ما يسمح بنجاح الملفوظ أو إخفاقه، وهذه أوّل نقطة تنفصل فيها التّداوليّة عن علم الدّلالة لأنّ استخدام المعنى مختلف عن المعنى[1].

ولتوضيح ما سبق قوله، نورد مثالا نحو الجملة: في هذه الأرض حيّات سامّة، فالمعنى الحقيقي أنّ هذه الأرض بها حيّات سامة حقيقيّة. أمّا استخدامه قد يأتي مختلفا، وهو بذلك يتجاوز المعنى الحقيقي لمفهوم (حيّات سامّة) لينتقل إلى مستوى المجاز، وقد ينتقل هذا المعنى أيضا من الإبلاغ (حقيقي) إلى التحذير[2]، ولا يمكن للمتلقي أن يقف على حقيقة المعنى إلّا بحث في مقاصد المتكلّم ودلالات المقام الخارجيّة وهذا هو لب البحث التّداولي.

فإذا كانت الدّلالة تدرس المعنى وفقا للوضع فقط وبمعزل عن السياقات الوارد فيها اللّفظ، فإنّ التّداوليّة أكثر ما تركزّ على معاني الأقوال ضمن أطر المقامات التّخاطبيّة. وعليه، نقول إنّ الدّلالة تدرس المعنى والتّداوليّة تدرس الاستعمال، فالأول منفصل عن السّياق والثّاني مرتبط بالسياقات الفعليّة، من ثمّ يكون "الفرق بين المعاني اللّغويّة ومقاصد المتكلّمين وثيق الصّلة بالفرق بين علم الدّلالة والتّداوليّة، فالمعاني اللّغويّة (الّتي هي معان وضعيّة تفهم من مفردات اللّغة وتراكيبها)، تنضوي في إطار اهتمامات علم الدّلالة لأنّ استنباطها لا يحتاج إلى عناصر خارج البنى اللّغويّة، أمّا مقاصد المتكلّمين فلا يمكن التّوصل إليها إلّا بمعرفة

[1] - Vu : D.Maingueneau, pragmatique puor le discours littéraire, p04-05.

[2] - ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التّداوليّة، المرجع السابق، ص128.

السياقات الّتي قيل فيها الكلام، ومعرفة المُخاطِب والمُخاطَب. وإعمال القدرات الاستنتاجيّة الّتي يمتلكها المخاطب عن التعامل مع الكلام"[1].

بناء على ما تقدّم، ووفق قانون الوضع والاستعمال الّذان يعتبران جوهر الفروقات بين التّداوليّة وعلم الدّلالة، "يمكننا تقسيم المعنى إلى معنيين: "معنى دلالي" يعتمد على دلالة مفردات التّركيب الخاصة، وما تقدّمه للعبارة من معان مرتبطة فيما بينها بضوابط تركيبيّة من غير ملاحظة للعلاقات التّركيبيّة غير اللّغويّة المصاحبة للحدث اللّغوي، و"معنى تداولي" يتجاوز حدود التّركيب ودلالته السّطحيّة فيربط التّركيب بمجموعة العناصر المكونة للحدث الكلامي الّتي يمكن بطريقها توليد معان مقاميّة عدّة تداوليّة وظيفيّة"[2]

العلمي للكلية

4- علاقة التّداوليّة باللّسانيات النّفسيّة:

إنّ حدود العلاقة بين التّداوليّة واللّسانيات النّفسيّة ليست علاقة تجاذب وتعارض أو تداخل كما اللسانيات والتّداوليّة، فهي مختلفة تماما وتنحو منحى المنهج التكاملي، وحتّى ننطلق في فهم العلاقة بين هذين العلمين نعرض المثال الّذي ذكره كل من "جيل سيوفي وريمدونك" في كتابهما، ونصّه أن نتصوّر دخول (أ) إلى غرفة، تكون بها نافذتان مفتوحتان، فيقول لـ (ب): الجو ليس ساخنا هنا[3]، فالقول هنا يحمل عدّة تأويلات تستدعي من المتلقي (ب) أن يبني احتمالاته بعد أن يفك رموز الرسالة ويقرنها بالسّياق ليتوصل إلى نتيجة أنّ (أ) لا يشعر بالحرارة، وقد أصابه التيار الهوائي الداخل للغرفة، ويفترض أنّه يطلب منه إغلاق إحدى النّافذتين على الأقل.

---

[1]- محمد محمد علي يونس، مقدمة في علمي الدّلالة والتّخاطب، دار الكتاب الجديد، ليبيا، ط01، 2004، ص15.

[2]- أحمد فهد صالح شاهين، النّظريّة التّداوليّة وأثرها في الدراسات النّحويّة المعاصرة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط01، 2015، ص30.

[3]- Vu: G.Siouffi et D.V.Reamdonk : 100 fiches pour comprendre la linguistique, p50-51.

إنّ إجابة الشّخص (ب) تعتمد كثيرا على جانب شخصيّته بعدّه سامعا، وتستند إلى سرعة البديهة، وحدّة الانتباه وقوة الذاكرة الشّخصيّة، والذكاء، وبعض جوانب الطبع...، وهي كلّها عناصر تشرح ملكة التّبليغ الحاصلة في الموقف الكلامي. ولها تأثير كبير على أداء الأفراد. وبذلك، فإنّ التّداوليّة تعتمد في درسها على مقولات اللسانيات النّفسيّة في هذا المجال[1].

5- علاقتها باللسانيات الاجتماعيّة:

تعنى اللسانيات الاجتماعيّة بدراسة الوظيفة الاجتماعيّة للغة؛ معنى ذلك أنّها تبحث في علاقة اللغة بالمتكلّمين الناطقين وما يطرأ من تبدلات عليها أثناء الاستعمال، وذلك بالتّركيز على السّن، الجنس، والفئة الاجتماعيّة، والوسط، والمستوى التعليمي والمهني، من ثمّ تعرض لتحليل العلاقة بين اللّغة والممارسات الاجتماعيّة.

تشترك اللسانيات الاجتماعيّة مع التّداوليّة في ظروف نشأتها والبدائل التّي عرضتها، حيث نشأت كردّ فعل على اللّسانيات البنيويّة الّتي أبعدت المكوّن الاجتماعي في دراسة اللّغة، وقد قدّمت اقتراحا على أن تدرس اللغة استنادا إلى مباحث أفعال اللّغة. ومن هنا يظهر تداخل التّداوليّة مع اللسانيات الاجتماعيّة تداخلا كبيرا وذلك ببحثها في أثر العلاقات الاجتماعيّة بين المتخاطبين، وبيان مراتبهم وأجناسهم، وتبيان أثر المقامات في بناء الخطابات نحو اختيار العبارات والأساليب وفقا لذلك[2].

5- علاقتها باللسانيات التّعليمية:

[1]- ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التّداوليّة المرجع السابق، ص132.

[2]- راجع: الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللّسانيات التّداوليّة، لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1996، ص45-46.

وفقا لمبدأ التأثّر والتّأثير، فإنّ التّداوليّة وكما تأثّرت بعلوم قد أثرت بدورها في علوم أخرى، من بينها حقل التّعليميّة وذلك بعد أن تأكّد أصحاب الاختصاص بأنّ" التّعليم لا يقوم على تعليم البنى اللغوية دون الممارسة الميدانية الّتي تسمح للمتعلّم بالتّعرف على قيم الأقوال وكميات الكلام، ودلالات العبارات في مجال استخدامها، إلى جانب أغراض المتكلّم ومقاصده، الّتي لا تتّضح إلّا في سياقات مشروطة"[1] ،وفاقا لذلك ظهرت دعاوى تنادي بالاهتمام بالمتعلّم والتّركيز على خصوصيات المتعلمين ومراعاة ما هم بحاجة إليه، بدل إيلاء العناية الكاملة بالمادة التّعليميّة.

لقد تجاوز التّعليم مع التّداوليّة مرحلة الكفاءة إلى الاهتمام بمسألة الأداء بتوفير حاجات المتعلّم والاقتصار على تعليمه فيما هو في حاجة إليه، وبذلك أعلنت انقلابا على مناهج التّعليم التّقليديّة، ودعت إلى إعادة النّظر في نماذج الاختبارات والتمارين مع مراعاة حالات المتعلم قبل المادة التعليمية، كما عدّ البعد التّداولي للغة (ممارستها واقعا) أحد أهداف العمليّة التّعليميّة إلى جانب ذلك فقد انتقدت طرق تدريس اللغات الأجنبية الّتي تتعامل مع لغات مثالية وأناس مثاليين، في مواقف مثاليّة بعيدا عن أي سياق اجتماعي، مما جعل المعلمين يعتقدون أنّ ظاهر اللغة هو الهدف من تدريسها، فاهتموا بالشكل ولم يُعلّموا اللغة الّتي في جوهرها ملكة استخدام اجتماعي[2].

مفاد الأمر، أنّ التّداوليّة غيرت طريقة التّعليم إلى المقاربة التّواصليّة، والّتي تهدف "إلى إكساب المتعلّم كفاية تواصليّة تمكّنه من توظيف اللّغة الّتي يتعلّمها في مختلف الوضعيات

[1]- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداوليّة، ص133.

[2]- ينظر : خليفة بوجادي، المرجع السابق، ص133-134.

والمواقف الاجتماعيّة، وهذا بدل التّركيز على التّمارين التّركيبيّة وحفظ القواعد اللّغويّة، وهو ما ركّزت عليه المقاربة المستوحاة من البنيوية، والّتي لم تتمكّن من تحقيق الهدف المنشود المتمثّل في جعل المتعلّمين يتحكّمون في اللّغة كوسيلة للتواصل"[1] .

7- علاقتها بالأدب:

ناقشنا سابقا علاقة التّداوليّة باللّسانيات التّعليميّة، وتبيّن لنا أنّ التّداوليّة قد أضافت للتّعليم بعدا آخر ألا وهو البعد التّواصلي، ومن هنا يتبادر لنا السّؤال التّالي: كيف تنظر التّداوليّة للنّصوص الأدبيّة، والّتي في غالبيتها محور عمليّة تعليم اللّغات؟

اتّسعت دائرة التّداوليّة وتعددت إجراءاتها التّحليليّة ومباحثها ومفاهيمها، وأضحى لها باع في نظريّات الاتّصال والتّعليميّة وتحليل الخطابات، مستمدّة آلياتها الإجرائيّة من عدّة علوم منها الفلسفة واللّسانيات وعلوم المعرفة والأدب.

تعتبر التّداوليّة أنّ الأدب خطاب تخييليّ بامتياز، فخاصيّته التّخيّيليّة تجعله من طبيعته مغايرة لخطابات الحياة اليوميّة، والأدب كخطاب تخييليّ بإمكانه التّنصل من معيارَيّ الصّدق والكذب، وهاهنا يخرج الخطاب الأدبي أيضا من توافقيّة الزّمن والمكان الّتي تخضع لها المحادثة التّخاطبيّة، حيث يفرض السّياق سلطته عليها قصد الوصول إلى الغايات وتحقيق المقاصد، فالتّفاعل في الأدب لا تبادليّ، والسّياق لا محدوديّ.

تستدعي المقاربة التّداوليّة للأدب رؤية خاصّة تستطيع أن تعيد تأسيس المفاهيم والتّصورات لتجعلها قادرة على استيعاب الأدب كخطاب تخييليّ، كما تطمح كذلك لأن تكون

[1]- محمد الأخضر الصبيحي، اللسانيات التّداوليّة وأثرها في تعليميّة اللغات، مقال، مجلة منتدى الأستاذ، الجزائر، العدد03، أفريل، 2007، ص36.

وصفيّة وتأويليّة في الأدب ذاته، إنّها ستختلف عن مقاربات أخرى من كونها ستنحو في معالجتها للتّفاعل لموضوع التّفاعل التّواصلي المقدّم في العمل الرّوائي منحى مماثلا للّذي اعتمدته التّداوليّة في معالجتها لموضوع التّفاعل داخل العالم المألوف فاهتمام هذه المقاربة سيكون مركّزا على التّداوليّة النّصيّة (Intra-textuelle) أي على الدّيناميّة التّفاعليّة كما تتمثّل داخل الإطار التّخييلي الّذي يطرحه العمل الرّوائي وهذا يقتضي أن نطرح أسبقيّة النّص[1].

إنّ الأمر متعلّق بوصف آثار التّداوليّة الموجودة داخل النّص كما تتمظهر بين المتخاطبين؛ أي بين الشّخصيّات، كما يتصّل الأمر بالتّساؤل عن المعنى الّذي تمنحه الشّخصيّات للعلامات وإبراز الاستخدام الّذي قامت به الشّخصيات لتلك العلامات في سياق ظرفيّ ممنوح، وهو سياق تلك الشّخصيّات نفسه، يعني داخل السّياق الّذي تتحرّك فيه، وينتج فيه المعنى وآثار المعنى ينبغي تفادي النّظر إلى هذه المقاربة –التّداوليّة- باعتبارها منهجيّة جاهزة ومعدّة للتّطبيق حسب المشيئة ينبغي أن تُفهم هذه المقاربة –التّداوليّة للأدب- بوصفها شبكة لحلّ الرّموز قابلة لأن تقودها إلى فهم ديناميّة الفعل الرّوائي، وفهم السّلوك الاجتماعيّ.[2]

لقد حذت الخياليّة الموجودة في الأدب إلى أن تخرجه إلى قالب الأفعال غير المباشرة، وفي ذلك يقول سورل: " إنّ الكاتب ينشئ شخصيّاتٍ وأحداثا خياليّة بإخفائه الإحالة على أناس وقصّ أحداث جرت لهم. وفي خيال النّزعة الواقعيّة أو الطّبيعيّة (في السّرد الرّوائي) يعمد الكاتب إلى الإحالة على أماكن وظواهر واقعيّة، مازجا تلك الإحالات بما هو من قبيل الخيال...، ويقيم المؤلف حملة من التّعاقدات مع القارئ تحدّد إلى أيّ مدى تقطع مواضعات الخيال

[1]- Voir : A-Reboul :Rhétorique et stylistique de la faction, presse universitaire de Nancy, 1992, p30.
[2]- A-Reboul :Rhétorique et stylistique de la faction, p31.

الأفقيّة مع ترابطات الخطاب الجادّ العموديّة...، أمّا ما يتعلق بمقبوليته، فتعود إلى انسجامه ... إنّ ما يعدّ انسجاما يعود في جزء منه إلى العقد الحاصل بين الكاتب والقارئ في ما يتعلّق بالمواضعات الأفقيّة[1]. فسورل هنا يقدّم العمل الأدبيّ على أنّه عمل لغويّ غير مباشر.

تسعى التّداوليّة إلى إثبات أحقيّتها في تحليل الخطابات العاديّة والأدبيّة على حدّ سواء، على اعتبار أنّ كلا الخطابين يعتمدان على اللّغة، واللّغة في حدّ ذاتها في نظر التّداوليين هي أداة تواصليّة حجاجيّة، إلّا أنّ الأمر في نظر دومنيك مونغونو يغايّر هذا الطرح فيقول: "التّداوليّة اليوم هي مقاربة من مقاربات النّص الأدبيّ ... لها أفق داخليّ تُضطر سائر المقاربات إلى الانخراط فيه. فالمهمّ ليس أن نكون مع التّداوليّة أو ضدّها في التّحليل الأدبي ولكن علينا مع ذلك أن نحذر من مغبّة الارتداد إلى تصوّرات للنّص سابقة للبنيويّة...، وكي تستثمر التّداوليّة في دراسة الخطاب الأدبي، ينبغي أن تحدّد مسلكها وقد حفّ به مزلقان أحدهما النّزعة النّفسيّة والآخر النّزعة الشّكليّة، وسواء تعلّق الأمر بالتّداوليّة أو بأيّ تصوّر آخر للّغة، فإنّنا نجد أنفسنا إزاء معضلة: هل نعامل الآثار الأدبيّة بوصفها جنسا من الملفوظات كسائر الأجناس، أو إنّنا نضعها على حدّة. والحال أنّها ملفوظات ليست كسائر ملفوظات خارجة عن قوانين اللغة"[2].

في ختام الحديث عن علاقة التداولية بالعلوم الأخرى، يمكن القول: تعدّ التداولية جسراً يربط بين مختلف فروع المعرفة اللّغوية والاجتماعيّة والنّفسيّة والتّعليميّة، فهي لا

[1]- فيليب بلانشيه، التّداوليّة من أوستين إلى غوفمان، ص154.

[2]- D.Maingueneau, pragmatique puor le discours littéraire, p04-05

تكتفي بدراسة اللغة في حد ذاتها، بل تمتد إلى سياقات استخدامها، مما يجعلها علماً متداخلاً مع علوم أخرى.

فعلاقتها بالدلالة تتجلى في تفسير المعاني في سياقاتها المختلفة، مما يُثري الفهم العميق للرسائل اللغوية. أما بالنسبة لعلم اللسانيات الاجتماعية فهي تُبرز أهمية السياقات الاجتماعية والثقافية في تشكيل المعنى، حيث تُظهر كيف تؤثر العلاقات الاجتماعية على استخدام اللغة. ومن ناحية اللسانيات النفسية تسهم في فهم العمليات الإدراكية التي تصاحب استخدام اللغة، مثل النوايا والتأويلات. وفي المجال التعليمي، تُبرز التداولية أهمية تعليم اللغة في سياقات حقيقية ومواقف تواصلية حية، مما يعزز كفاءة المتعلمين في التفاعل اللغوي. إنّ هذا التداخل بين التداولية وهذه العلوم يعكس شموليتها وأهميتها في دراسة الظواهر اللغوية من منظور أوسع وأكثر تكاملاً، ما يجعلها عنصراً أساسياً في فهم اللغة بوصفها أداة للتواصل البشري المعقد.

كما تلعب التداولية دورًا محوريًا في تحليل النصوص الأدبية وفهمها في سياقاتها المختلفة، فهي لا تقتصر على دراسة اللغة في مواقف الحياة اليومية، بل تمتد إلى النصوص الأدبية، حيث تُبرز الكيفية التي يتفاعل فيها الكاتب مع القارئ من خلال اللغة والسياق، ففي الأدب، تُستخدم التداولية لتحليل العناصر التواصلية مثل النوايا، والافتراضات الضمنية، والإيحاءات، وكيفية تأطير الشخصيات والأحداث ضمن سياقات ثقافية واجتماعية معينة، كما تساعد في فهم البعد التفاعلي للأدب، حيث يتم تفسير النصوص ليس فقط بناءً على معاني الكلمات والجمل، بل أيضًا بناءً على تأثيرها على المتلقي وتفاعل القارئ معه.. يمكننا القول باختصار أنّ التداولية تُثري دراسة الأدب من خلال تقديم أدوات تحليلية لفهم

النصوص الأدبية في ضوء التفاعل بين اللغة، السياق، والقارئ، مما يُعمّق الفهم للتجربة الأدبية.

-المحاضرة السادسة:

التخاطب والتّداوليّة

-المهام والاهتمامات والغايات-

من خلال المحاضرات المقدّمة سابقا، أصبحنا ندرك أن الدرس التّداولي لا يدرس اللّغة إلّا أثناء التّواصل وداخل سياق معيّن وليس بمنأى عن ذلك، إذ لا يمكن للدّارس أو المحلّل أن يقف على وظائف اللغة إلّا أثناء عمليات التواصل فهي ليست وظائف مجرّدة، كما أنّ التواصل دائم الارتباط بالسياقات الّتي يرد فيها: اجتماعيّة، ثقافيّة...

إنّ المتتبع لمسار الدّراسات اللّغويّة وتطوّرها يلحظ أنّ دراسة العلامات اللّغويّة في القرن العشرين قد توزّعت كالآتي:

*- الدّراسات النّحويّة: تدرس علاقة العلامات فيما بينها، والكلمات في الجملة أو الجمل بحثا عن إعطاء قواعد التّعبيرات المكوّنة تكوينا جيّدا.

*- الدّراسات الدّلاليّة: تعالج علاقات العلامات، والكلمات والجمل بالأشياء، وبحالات الأشياء. إنّها دراسة مرتبطة بالمعنى والمرجع والحقيقة[1].

يرى "فرانسواز أرمينكو" أنّ مشروعيّة ميلاد التّداوليّة قد جاءت كضرورة بحثيّة كون أنّ الدّراسات النّحويّة والدّلاليّة مقاربات دقيقة ولكنّها لم تستنفذ مشكلات المعنى، ولقد كان تدخل التّداوليّة تدخّلا مشروعا لأجل "دراسة علاقة العلامات بمستعملي هذه العلامات،

[1]- ينظر: فرانسواز أرمينكو، المقاربة التّداوليّة، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء، ص04 ، نسخة إلكترونيّة.

والجمل بالمتكلّمين"[1] . وعلى إثر ذلك يذكر "أرمينكو" بعضا من المفاهيم الّتي كانت مغيّبة عن حقل الدّراسات الفلسفة اللّغويّة واللّسانيّة، هذه المفاهيم هي:

1- مفهوم الفعل: ويتنبه إلى أّن اللّغة لا تخدم فقط، لا في البداية ولا بشكل خاص، تمثيل العالم، بل تخدم إنجاز الأفعال، فالكلام هو أن نفعل. من ثمّ يوجه مفهوم الفعل نحو مفاهيم أكثر شموليّة ودقّة، للتفاعل والتّسويّة.

2- مفهوم السيّاق: ونقصد به الوضعيّة الملموسة، والّتي توضع وتنطق من خلالها مقاصد، تخصّ المكان، والزمان، وهوية المتكلّمين... وكل ما نحن بحاجة إليه من أجل فهم وتقويم ما يقال، وهكذا ندرك قيمة السّياق حين تنقل إلينا مقاصد عبر وسيط، وفي حالة معزولة عن السّياق، والّذي يصبح مبهما ودون قيمة.

3- مفهوم الإنجاز: ونقصد بالإنجاز طبقا للمعنى الأصلي للكلمة، إنجاز الفعل في السيّاق، إما بمحايثة لقدرات المتكلمين، (أي معرفتهم وقدرتهم بالإلمام بالقواعد)، وإمّا بموجب إدماج التّمرس اللّساني بمفهوم أكثر تفهما، كمفهوم القدرة التّواصليّة.[2]

إذا ما أردنا الحديث عن مهام التّداوليّة أو عن ما يميّزها عن غيرها من المناهج اللّغويّة فيكون استشهادنا بقول جورج يول حين صرّح بـ:" أنّ التّداوليّة وحدها تبيح إشراك البشر في عمليّة التّحليل، تمتاز عمليّة دراسة اللّغة من خلال التّداوليّة بأنّها تمكننا من التّحدث عن المعاني الّتي يقصدها النّاس، وعن افتراضاتهم، وأهدافهم، وما يصبون إليه، وأنواع الأفعال الّتي يؤدونها أثناء تكلمهم (مثلا تقديم طلب). أمّا العائق الكبير فيكمن في الصعوبة البالغة الّتي

[1]- فرانسواز أرمينكو، المقاربة التّداوليّة، تر: سعيد علوش، ص4.

[2]- المرجع نفسه.

تبرز عند تحليل جميع هذه المفاهيم الإنسانية البحتة ذاتها بطريقة متسقة وموضوعيّة"[1]، وفق هذا الطّرح تتجاوز التّداوليّة الدراسات النّحويّة والدّلاليّة لتكون طريقة في التّحليل أشمل وأعم.

لقد استطاعت التّداوليّة أن تتمركز وسط الدراسات اللّغويّة، على الرغم من اختلاف وجهات النّظر بين الدارسين حولها، وتساؤلهم عن القيمة العلميّة للبحوث التّداوليّة وتشكيكهم في جدواها، فإنّ معظمهم يقرّ بأنّ قضية التّداوليّة هي "إيجاد" القوانين الكليّة للاستعمال اللّغوي والتّعرف على القدرات الإنسانيّة للتواصل اللّغوي، من ثمّ تصير "التّداوليّة " جديرة بأن تسمى علم الاستعمال اللّغوي[2].

يمكننا القول أنّه صار من الصعب علينا الاكتفاء بكل مستوى من مستويات اللغة مستقلا بذاته أثناء استعمال اللغة في التواصل أو تأويلها، والقول بالاستقلال ينطوي على قدر من التعسّف، فبالرغم من إمكانيّة دراسة كل مستوى دراسة مستقلة من الناحيّة الإجرائيّة، إلاّ أنّه يتعذّر مثل هذا عند إرادة إجرائها على الخطاب، إذ لا يمكن استعمال التراكيب المجرّدة بمعزل عن الدّلالة، ولا يمكن إنتاج الخطاب وفقا لما يقتضيه هذان المستويان فحسب، وإلّا لأصبح بإمكاننا الأخذ بما لا معنى له مع توفّر صحّته النّحويّة. وكذلك لا يصحّ إنتاج خطابات ذات صحّة دلاليّة تكتفي بصدق أو كذب قضاياها في ذاتها، إذ لا يمكن إنتاج خطاب دون

[1]- جورج يول، التّداوليّة، ص20.

[2]- ينظر: فان ديك، النص والسّياق، استقصاء البحث في الخطاب الدّلالي والتّداولي، تر: عبد القادر قنيني، دار إفريقيا الشّرق، الدار البيضاء، د.ت، ص13.

مرسل له، ولا يمكن أن ينتجه المرسل في غموض عن المرسل إليه. وفي ذلك ككل يكفينا ارتباط عمليّة التّواصل/ الإرسال بالسيّاق/المقام الّذي ترد فيه[1].

تكتسي التّداوليّة أهميّتها من كونها طرقت باب بحوث أو قضايا ومشكلات تطرح نفسها على البحث العلمي، وقد أهملتها باقي المناهج الأخرى، ومن الأسئلة الّتي يطرحها الباحثون ويحاولون من جهة أخرى الإجابة عنها هي: ماذا نصنع حين نتكلم؟ ماذا نقول بالضبط، حين نتكلم؟ لماذا نطلب من جارنا حول المائدة أن يمدنا بكذا، بينما في مقدوره أن يفعل؟ فمن يتكلم إذن؟ وإلى من يتكلم؟ من يتكلم ومع من؟ من يتكلم ولأجل من؟ ماذا علينا أن نفعل حين يرتفع الإبهام عن الجملة؟ ماذا يعني الوعد؟ كيف يمكننا قول شيء آخر، غير ما كنّا نريد قوله؟ هل يمكن أن نركن إلى لمعنى الحرفي لقصد ما؟ ما هي استعمالات اللغة؟ أي مقياس يحدّد قدرة الواقع الإنساني اللغوية؟[2].

من جملة الحقائق المتعارف عليها، أنّ المناهج التّحليليّة اللّغويّة الصوريّة قد صادفتها بعضا من المشاكل، ويرى (ليتش) أنّ في المنهج التّداولي حلّا لبعض هذه المشكلات، من وجهة نظر كل من المرسل والمرسل إليه، فالمرسل يبحث عن أفضل طريقة لينتج خطابا يؤثر به في المرسل إليه، كما أنّ المرسل إليه يبحث عن أفضل كيفيّة للوصول إلى مقاصد المرسل كما يريدها عند إنتاج خطابه لحظة التلفّظ. وهذه الإجراءات لا تتبلور عبر منظومة خوارزميّة تجريديّة كما هو الحال في النّحو، بل تقدير ذهني عام ومحتمل وفقا لعناصر السياق[3].

[1]- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشّهري، استراتيجيات الخطاب –مقاربة لغوية تداولية- دار الكتاب الجديد المتحدّة، ليبيا، ط01، 2004، ص22-23.

[2]- ينظر : فرانسواز أرمينكو، المقاربة التّداوليّة، ص07.

[3]- محمد سامي أنور، اتجاهات جديدة في دراسة المعنى اللّغوي، المجلة العربية للعلوم الإنسانيّة، الكويت، ع22، المجلد 06، 1986، ص223.

ومن وجهة نظر "عبد الجليل الأزدي" أنّ المنهج التّداولي هو الّذي استطاع أن يكشف مناورات الخطابات السّياسيّة، إذ لا يجدي غيره من المناهج في تحليلها، ومعرفة ما يقف وراءه لأنّه خطاب يناور ويساوم ويضلّل عبر استثمار آليات وأدوات تعثر على تجريدها النّظري في مصطلح استراتيجيات الخطاب.[1]

تتضح الآن أهميّة التّداوليّة من حيث إنّها مشروع شاسع في اللسانيات النّصيّة، تهتم بالخطاب ومناحي النّصيّة فيه، نحو: المحادثة، المحاججة، التضمين...، ولدراسة التّواصل بشكل عام، بدءا من ظروف إنتاج الملفوظ إلى الحال الّذي يكون فيها للأحداث الكلاميّة قصد محدّد، إلى ما يمكن أن تنشئه من تأثيرات في السّامع، وعناصر السّياق؛ فهي تتساءل :"إلى أيّ مدى تنجز الأفعال الكلاميّة تغيّرات معيّنة أيضا، وبخاصة لدى الآخرين. وهي بذلك تفتح مفهوما أوسع للتواصل والتفاعل، وشروط الأداء.

ولكنّ مع ذلك، لا ينبغي مقابلتها بمجال محدّد، لأنّ نشأتها غير المستقرّة، جعلت منها تداوليات عديدة، نحو: تداوليّة حقيقيّة لدى المناطقة، تداوليّة مقاربة لدى اللّسانيين، وتداوليّة الإقناع لدى البلاغيين...وغيرها. وهذه الصفة تفتح أمامها رهانات عديدة، وتجعل تطوّرها انطلاقا لا يحدّ، وتنوعها غير محصور، وامتدادها غير محدود[2].

ما يمكن لنا الوقوف عليه هو أنّ التّداوليّة في ظلّ التّخاطب تتناول موضوعات مختلفة تتعلّق باللّغة كوسيلة للتّواصل، وتهتمّ بتحليل كيفيّة استخدام اللّغة في سياقات

[1]- عبد الجليل الأزدي، التواصل والتواصل السياسي، مجلة فكر ونقد، المغرب، ع36، 2001، ص117.

[2]- ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التّداوليّة، المرجع السابق، ص135-136.

اجتماعيّة وثقافيّة مختلفة لتحقيق أهداف معيّنة، ويمكن لنا تلخيص المهام والغايات والاهتمامات الأساسيّة كما يلي:

أوّلا المهام:

يمكن لنا تحديد مهام التّحليل التّداوليّ في النّقاط التّاليّة:

- تحليل أنماط التّواصل: ويقصد بها فهم كيف يتمّ استخدام اللّغة لنقل الأفكار والمشاعر.
- دراسة السّياقات الاجتماعيّة: تحديد تأثير السّياق الاجتماعيّ على اختيار الكلمات وأساليب التّعبير.
- التّفسير اللّغويّ: ويعني تحليل معاني الكلمات والجمل بناء على السّياق والمقام.
- النّظر في العلاقات التّداوليّة: التّركيز على العلاقات بين المتحدّثين والمستمعين، وكيف تؤثر هذه العلاقات على فهم الرّسائل.

ثانيا الغايات:

تختلف الغايات والمقاصد الّتي تسعى التّداوليّة لتحقيقها عن غيرها من النّظريات اللّغويّة، فهي تسعى إلى:

- تحقيق التّواصل الفعّال: مفاد ذلك أنّها تسعى إلى تحسين القدرة التّواصليّة بطرق سهلة وواضحة وفعّالة.
- فهم المقاصد والمعاني الضّمنيّة: فهي تبحث في المستور والمخفي في الرّسائل، وتحاول كشف الغامض والضّمنيّ في الكلام.

- تعزيز العلاقات الاجتماعيّة: ما ترومه التّداوليّة هو بناء علاقات قويّة من خلال استخدام اللّغة المناسبة في كلّ موقف.
- التّطوير العلميّ: تدريب الأفراد على تحسين قدراتهم التّخاطبيّة.

ثالثا: الاهتمامات:

لقد خرجت التّداوليّة وفقا لاهتماماتها عن القولبة والمعياريّة الّتي سادت ردحا من الزّمن مع اللسانيات البنيويّة، وتتمثل اهتماماتها في:

- السّياق والمقام: أي تحليل كيف يؤثر المقام والسّياق على تفسير الكلام.
- اللّغة والهويّة: فهم دور اللّغة في تشكيل هويّة الفرد والجماعة.
- اللّغة غير اللّفظيّة: دراسة تأثير الإشارات غير اللّفظيّة على عمليّات التّخاطب مثل الإيماءات ونبرة الصّوت.
- الأخطاء التّواصليّة: تحليل المواقف الّتي تؤدّي إلى سوء فهم ومحاولة تفاديها.

-المحاضرة السّابعة:

إجراءات التّحليل التّداولي:

أ- أفعال الكلام.

جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم
المجلس العلمي للكلية
قسم اللغة والأدب العربي

تشكّل اللّغة أداة اتّصال بين الشّعوب عن طريق المحادثة السّليمة، الّتي هي عبارة عن الآلية التي يستخدمها الطّالب لإنتاج جملة يصوغها من الأفكار والمعاني المرتبطة بموقف معيّن، يتطّلب التحدّث والاتصال في قوالب لفظيّة مناسبة لموضوع التّحدث ولحال السّامعين، فالتّعبير هو القدرة على أداء ما في عقولنا و نفوسنا من معان ومشاعر عن طريق المشافهة، فتبدوا بذلك كمنطق للتّفاعل الاجتماعي.

وعلى الرّغم من تعدّد اللّغات وتنوّعها، فكلّها تحمل خصائص مشتركة أوّلها و أهّمها أن كلّ اللّغات تتكوّن من أصوات تصدرها أعضاء النّطق الإنسانية، هذه الأصوات يّجب أن توضع في شكل تتابعيّ محدّد معيّن، مكوّنة من مجموعة من الكلمات، هذه الكلمات يّجب أن تكون محلّ اتّفاق أعضاء المجموعة اللّغوية باعتبارها قيما رمزيّة تستحضر في ذهنهم مجموعة من الأفكار المختلفة.

تدرس التّداولية اللّغة في سياقات استعمالها المختلفة، فلا بدّ من النّظر إلى القضايا الّتي تناقشها ومختلف الموضوعات الّتي تلمُّ إليها وسنتطرّق إلى الأهمّ منها:

1- أفعال الكلام:

في البداية لا بد أن نشير إلى قضية هامة مفادها أن الدرس اللساني يقوم على دراسة النظام اللغوي، وعلاقة المستويات بعضها ببعض دراسة تركيبية شكلية بعيدة عن المقامات،

والسياقات الثقافية، و حتى الاجتماعية مهملا إلى حد بعيد الدلالة ،أي دراسة اللغة بوصفها نصا مجردا لا خطابا وظيفيا. واتجاه ينظر إلى الضوابط التي تحكم اللغة، وفعالية السياق في توجيه الخطاب التواصلي، وما يتبعه من حركات، وإشارات غير لغوية مستأنسين بمن يشارك في العملية التواصلية. من هنا كان لا بد من إعادة النظر في توجيه وظائف اللغة من النظرة الشكلية و الانطلاق من النظام، والاستخدام معا، ويرتبط موضوع الأفعال الكلامية بالدرس اللساني التداولي ارتباطا وثيقا خاصة في مرحلة التأسيس عند اللغوي أوستين، ومرحلة النضج عند تلميذه سيرل و هما من فلاسفة أوكسفورد.

من هنا، ركز المتخصصون في ما ألفوه في الدرس اللساني على أن نظرية أفعال الكلام من أهم مباحث الدرس التداولي، والفضل في ذلك راجع حسب فان ديك إلى فلسفة اللغة العادية التي نشأت في حضنها نظريّة أفعال الكلام، حيث ركزت على المعاني العادية التي تتغير بتغير المقام، والأحوال[1]، ويعدّ "أوستين" اللغوي البارز في نظرية أفعال الكلام، وذلك حين خالف الذين ينظرون للغة على أن وظيفتها نقل الواقع، ووصفه بالصدق أو الكذب، فاللغة ليست وظيفتها نقل الخطاب وتبليغ السامع عبر الموجات الصوتية، بل هناك أحداث لغوية تنجز حسب قناعات الأفراد، ومعتقداتهم، و بهذا تكون اللغة إنجازا للأفعال، وإنشاء للأحداث أثناء التلفظ.[2]

3- فان ديك، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2000م ص:125

([4]) جون اوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، ترجمة عبد القادر قنيني، ،الدار البيضاء، إفريقيا الشمالية، ،1991،ص:17

هذه هي الفكرة الأولى الّتي نشأت منها اللّسانيات التّداولية ومن أهمّ مراجعها، بل يمكن التأريخ منها لميلاد التّداولية، حيث ارتبطت اللّغة بإنجازها الفعلي في الواقع، وهي حتمية اقترحت في سنوات الستينيات مع أوستين واستأنفت مسارها مع سورل.[1]

أ- أوستين وفكرة أفعال الكلام:

اقترح أوستين قسما ثانيا من العبارات إلى جانب (العبارات الوصفية) هو "العبارات الإنجازية" التي يحكمها مقياس الصدق والكذب، ممّا ميّز أيضا بين نوعين من الجمل عن طريق وضع مجموعة من المعايير منها ما هو مقامي ومنها ما هو مقالي:

1- **المعايير المقالية:** تنصبّ على الجانب الشّكلي (للخطاب) ويتحتّم الاستجابة لها حتى تكون الجملة من قبيل الإنجاز:

أ- يجب أن تكون الجملة مشتملة على فعل من النّوع الإنجازي: أمر، نهي، طلب ... إلخ.

ب- يجب أن يكون زمن الفعل زمن المتكلم (الزّمن الحاضر).

ج- يشترط في الجملة أن تكون مبنية للفاعل.

د- يجب أن يكون قائل الجملة المتكلّم المفرد.

2- **المعايير المقاميّة:** يمكن تقسيمها إلى قسمين:

أ- ثنائيّة صدق/ كذب في مقابل نجاح/ فشل.

يؤكّد "أوستين" في هذا النّطاق على أنّ معيار (صدق/ كذب) يشمل الجمل الوصفيّة فقط، فهي صادقة إن كانت مطابقة حاصلة بينها وبين ما تصفه، وكاذبة إن كانت غير ذلك.

ب- ثنائيّة قول/ إنجاز

[1]- خليفة بوجادي، في اللّسانيات التّداولية مع محاولة تأصيلية في الدّرس العربي القديم، ص: 86.

يميّز "أوستين" بين "الجملة الوصفية" و"الجملة الإنجازية" مبيّنا أنّ الأولى (قول) والثّانية (قول وإنجاز) في الوقت نفسه، أو بعبارة أخرى أنّ النّاطق بالجملة الوصفيّة يقول قولا لا غير، في حين أنّ النّاطق بالجملة الإنجازية ينتج قولا وفعلا في ذات الوقت[1].

وعلى غرار المرحلتين السّابقتين، ظهرت مرحلة ثالثة من التّفكير الأوستيني وهي المرحلة الّتي ركّز فيها بشكل دقيق على المقصود من القول، فحين أتلفّظ بكلام ما أنجز فعلا معينا، فالملفوظة الإنجازيّة نوعان:

- إنجازية (صريحة/ مباشرة)، فعلها ظاهر (أمر، حضّ دعاء، نهي...) بصيغة الزّمن الحاضر المنسوب إلى المتكلّم.
- إنجازية (ضمنيّة/ غير مباشرة) فعلها غيرظاهر، نحو الاجتهاد مفيد: (أقول) الاجتهاد مفيد= آمرك أن تجتهد.
- وميّز فيها بين ثلاثة أصناف من الأفعال اللّغوية:[2]

1- فعل القول (Acte locutionnaire): وهو الّذي يشتمل من ثلاث أفعال فرعيّة وهي: الفعل الصّوتي، والفعل التّركيبي والفعل الإبلاغي (أو الدّلالي).

2- الفعل الإنجازي (Acte illocutionnaire): وهو الّذي يقوم به المتكلّم أثناء تلفّظه، ويرتبط بالقيمة (valeur) الّتي تعطى للكلام.

3- الفعل التّأثيري (الاستلزامي) (Acte perlocutionnaire): ويقصد به الأثر (effet) الّذي يحدثه الكلام لدى المخاطب.

العلمي للكلية

[1]- خليفة بوجادي، المرجع السابق، ص: 95.

[2]- العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التّداول اللّساني من الوعي بالخصوصيات النّوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضّابطة لها، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1437هـ، 2011م، ص: 86.

لقد ارتبطت التداولية منذ نشأتها بمبدأ أفعال الكلام لذا يعد الفعل الكلامي محور الدرس التداولي[1]، ويعود الفضل في تطوير هذا المبحث إلى "فلسفة اللغة العادية"، حيث نشأت مكرسة مبدأ ظاهرة الأفـعال الكـلامية، والّتي يعدها المتخصصون على أنها دراسة لظاهرة طبيعة اللغة، فاشتغلت أي فلسفة اللغة على المعاني العادية التي تتحول وفق مقامات الأحوال، وحتى نوضح أبعاد هذه النظرية لا بد أن يصادفنا أول مشروع للغوي "أوستين المنظر الأول، وتجمع الدراسات اللسانية أنها جاءت كرد فعل لأصحاب "الوضعية المنطقية" ظانين أن للغة وظيفة واحدة، وهي وصف الواقع بصدقه تارة، وبكذبه تارة أخرى، أو ما يعرف عند "أوستين" (بالمغالطة الوصفية)، أي أنّ اللّغة ليست نقلا للخبر ووصف للحال فقط، بل إنّ هناك أفعالا تنجز في الواقع، وتحول قناعات الأفراد، واعتقاداتهم بمجرد التلفظ بها، فحدث التلفظ هو إنجاز لفعل من جهة، وإنشاء لحدث"[2] ، من هنا يمكن أن نميز بين أفعال الكلام التي قد تكون:

المجلس العلمي للكلية

- **أحداثا تقريرية** (Acte Constatif): وهي كل الأقوال والأفعال الإخبارية التي تخضع للصدق والكذب، وقد عدل عن تسميتها أفعالا وصفية، لأنه ليس كل ما يوصف يخضع للصدق أو الكذب. كقولك مثلا :أترك القاعة.

- **أفعال إنجازية أو إنشائية:** Acte Performati : هناك أفعال ترتبط ببعض الشروط لضمان نجاح العملية تواصلية، حيث تحقق إنجازا تلفظيّا، بحكم أنّ اللّغة ترتكز على أسئلة استفهاميّة، أو تعجبيه أو أمرية ضمن أساليب الترغيب والترهيب، و التمني.

1- فان ديك، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2000م ص:125

(2) جون اوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، ترجمة عبد القادر قنيني، ،الدار البيضاء، إفريقيا الشمالية، ،1991،ص:17

هذه الأقوال أو الأفعال الأدائية تتعلّق بضمان النجاح الذي يحققه الفعل ويسميه أوستين" انجازا"، إلّا أنّه أعاد ترتيب أفعال الكلام من منظور التوفيق، و عدم التوفيق[1] ، والمقصود من ذلك تلك الأفعال التي تستخدم لأداء فعل كالترحيب، والاعتذار، والنصح، بل تكون إما ناجحة و موفقة، أو غير موفقة وفاشلة، ونجاحها مرتبط ارتباطا وثيقا بصاحب الرسالة حيث يراعي فيها المتكلم شروط الأداء فهو مثلا لا يستطيع أن يوصي بمال لا يملكه، فإن فعل ذلك كان لغوا وحشوا، وقد وضع أوستين شروطا ليتحقق بها الفعل الأدائي الصريح أسماها الملاءمة، وحصرها في ما يلي:

أ- نمط وجود إجراء عرفي مقبول وهو وجود كلمات محددة يتلفظ بها الأشخاص في ظروف محددة ،له أثر واضح.

ب-نمط المناسبة من حيث الأشخاص و الظروف،

ج-نمط شمولية الإجراء بين المشاركين في العملية التواصلية، فإن قال القائل مثلا: زوجتك ابنتي، ولم يقل المخاطب قبلت كان الزواج باطلا، وكان الأداء ناقصا.

د-نمط المشاركة، أي لا بد أن يؤدي هذا الإجراء واضحا، وسليما يتجنب المتكلم الاستعارات و التراكيب الغامضة، وغير المناسبة.

ولابد أن نشير إلى أهمية الاتفاق الذي لابد أن يسود المشاركين من حيث الأحاسيس، والمشاعر التي يطلبها الموقف الكلامي، كما يجب التركيز على التوافق بين الإنجاز الكلامي، والسلوك المترجم، لذلك لا بد من أن يتلاءم قولك مع فعلك، فمثلا عند زيارة أحد أقاربك

([5]) محمود أحمد نحلة، افاق جديدية في البحث اللغوي المنعاصر، دار المعرفة الجامعية،مصر،2002،ص:44

للبيت، وسلكت معه سلوكا معينا لا ينبئ على الفرح والغبطة، فأنت هاهنا قد أسأت الأداء. إنّ فلسفة أوستين تقوم على توفر كل هذه الشروط اللازمة وضرورية في نجاح الأداء، فالأفعال التي تخالف تلك الشروط أطلق عليها الإخفاقات والإساءات.

لقد أعاد أوستين النظر في مسألة الفعل القولي، والفعل الإنجازي، والفعل التأثيري، وذلك عندما تنبه إلى أنّ نظرية أفعال الكلام يشوبها الضعف في الكثير من الأحيان، فقد نجد أفعالا أدائية وإخبارية غامضة من حيث التمييز بينها، فكيف يمكن أن ننجز فعلا حين ننطق قولا، من هنا تذكر الباحثة "حورية زلاقي" أنّ الفعل الكلامي في رأي أوستين، والأفعال الثلاثة لا تنفصل، إذ هي جوانب مختلفة لفعل كلامي واحد، وإنّما يكون فصل أحدهما عن الآخر لغرض الدراسة فحسب. إنّ الفلسفة التي اعتمدها أوستين في تقسيمه لأفعال الكلام ترتكز أساسا على القوة الإنجازية، وبناء عليه قد جاء تصنيفه للأفعال الكلامية تصنيفا وظيفيا:[1]

1-الحكميات: هي الأفعال الدالة على الحكم وهي التي تصدر من الجهات الحكومية كالقضاء مثلا،وقد لا تكون نهائية.

2-**التّقريريات:** هي أفعال الدالة على القرارات وهي الأفعال التي لها علاقة بكل ما له علاقة بالقرارات و الأوامر منها الاختيار و الوصاية، والتجنيد.

3-الوعديات: هي الأفعال الدالة على التعهد التي تعبر عن المتكلم بفعل شيء، أو أن يلزم نفسه بفعل ما كالنذر ،و الضمان.

(7) عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، ط1،2003،ص:158-159

4- السّلوكيات: هي الأفعال الدالة على السلوك، وهي التي تمثل رد فعل لسلوك معين، كالشكر ،والاعتذار ، والمواساة...

5-الأمريات: هي الأفعال الدالة على الإيضاح، وهي التي يقصد بها تبيين وجهة نظر للمخاطبين، كالإثبات والإنكار والنفي والموافقة ،فإذا كانت نظرية أفعال الكلام عند أوستين عرفت هذا التوجه، فإن تلميذه سيرل وجه تعليقات هامة من حيث التنظير والتطبيق ،والذي سنتطرق إليه في الدرس القادم.

ب- سورل ونظرية أفعال الكلام:

لقد رأينا سالفا أنّ المراحل التي قطعها التّفكير الأوستيني، وكيف تمكن من تقديم شرح مفصّل حول أفعال الوصف، وأفعال الإنجاز، وتقديم فرق دقيق بينهما، مستنتجا أنّ كلّ العبارات اللّغوية تحتوي على أفعال من قبيل الإنجاز، فهذا الفعل هو الّذي قاده إلى صياغة نظرية أفعال الكلام مؤكّدا أنّ لكلّ جملة مستويين: مستوى مقالي يتمثّل في فعل القول، ومستوى مقامي يشغله "الفعل الإنجازي" و"الفعل التّأثيري".

وركحا على كلّ ما تقدّم، اقترح سورل تقسيما آخر لأفعال الكلام وميّز أربعة أصناف:

1- الفعل التّلفظي (Acte d'énonciation) والمقصود به عملية أداء الكلام، والتّأليف بين مكوّناته.

2- الفعل القضوي (Acte propositionnel) وهو معادل للفعل الدّلالي عند "أوستين" على اعتبار أنّ ما كان يعرف بالفعل الدّلالي، وكان يشمل عنصر المعنى والإحالة،

أصبح عند "سورل" يشكّل فعلا مستقلّا، يسمى الفعل القضوي، يتضمّن فعلي "الإحالة والجملة".

3- الفعل التّأثيري (Acte perlocutionnaire) يتعلّق بالنّتائج الّتي يحدثها الفعل الإنجازي Acte illocutionnaire بالنّسبة للمخاطب، فإذا اسقطت حجّة يمكن إقناع المخاطب.

4- الفعل الإنجازي (Acte illocutionnaire) كالاستفهامي، والأمر، والنّهي، والوعد... الخ، وللإشارة فإنّ هذين الفعلين "التّأثيري والإنجازي" لا اختلاف بين "أوستين" و"سورل" بشأنهما.

المجلس العلمي لكلية

كما أنّه وضع اثني عشر مقياسا لنجاح الفعل الانجازي منها غاية الفعل، توجيهه، حالته السيكولوجية، وسمّاها شروط النّجاح.

ج- أفعال الكلام بعد أوستين وسورل:

تناول فكرة "أفعال الكلام" لسانيون عدّة بعد "أوستين" و "سورل" وعرضوا كثيرا من قضاياها لاسيما مفهوم الفعل الإنجازي وشروط قيامه أو مفهوم القوّة الإنجازية ومن أولئك نجد: أوزفالد ديكرو يتحدّث عن الفعل الإنجازي وحدّد نوعا من أفعال الكلام سمّاه بفعل الرّأي وهو ما يتعلّق بالمتكلّم، ويعلّم السّامع بتقنيات: (مثل: فكر، علم، تعلم...) وهي مجموعة من أفعال الشّك والرّجحان في اللّغة العربية، ثم ميّز هذه الأفعال الرأي عند قسم آخر من الأفعال يسمّى "أفعال الحجاج" وتعني الافتراضات المسبقة للرّأي نحو: برهن، بيّن، فنّد، ونلفي "ديكرو" و "ريكاناتي" قد انتقدا أوستين في بعض أفعال الكلام وتقسيمها، إلى جانب بنفست

وسورل وغيرهما واقترح أربعة أقسام فقط: أفعال إنجازيّة، أفعال إدراكيّة، أفعال قوّة الإنجاز، أفعال قوّة الإدراك.[1]

خلاصة القول، إنّ البحث التّداولي إذا يدرس اللّغة بالتّركيز على مجالات، وسياقات استعمالاتها، فهو يهتم أيضا بعلاقة المتخاطبين إلى جانب اهتمامه بالجوانب الشكلية للأبنية اللّسانيّة، والدّلاليّة، ومن هنا فإنّ التّداوليّة تحاول حل الإشكالات التي تعرفها اللّغة، لأن البنية لم تعد كفيلة لتفسير وفهم اللغة، ومستعمليها، فهي من هذا المنظور مبحث لسانيّ يهتم بدراسة الكيفيّات التي بفضلها يفهم المخاطب والمتكلم أفعالا خطابية تواصلية تأتي بفضل الحوار والمحادثة، ثم الكشف عن الخلفيات التي تتضام لتفرز تواصلا ناجحا بين المتلقين أثناء عمليّة التّواصل، أي يسعى البحث التّداوليّ إلى وضع استراتجيّة، ومبادئ لأيّ حوار مرتبط طبعا بالمقام أثناء إنتاج الكلام، فالمشروع التّداوليّ بهذا الطرح هو البحث عن تقنيات كيفيّة تأويل الكلام ،أي كيفيّة استخدام النّاس للأدلّة اللّغويّة ،و ضمان التّواصل، واكتساب ملكة لغويّة تبليغيّة، أي فن استعمال اللّغة .

[1]- ينظر، خليفة بوجادي، فس اللسانيات التداولية مع محاولة تأصلية في الدرس العربي القديم، ص:100.

-المحاضرة الثّامنة:

ب- الإشاريات deixis

تعدّ الإشاريّات جزءا لا يتجزّأ من اللّغة اليّوميّة، حيث تستخدم للإشارة إلى معانٍ لا تفهم إلّا من خلال السّياق، ويمكن لهذه الكلمات أو التّعبيرات أو الضّمائر أن تحدّد الأشخاص والأماكن والأزمنة، أو حتّى مواقف اجتماعيّة محدّدة.

1- تعريف الإشاريات:

هي كلمات أو عبارات تستخدم للإشارة إلى عناصر معيّنة في سياق الكلام أو الكتابة. وتعتمد هذه الكلمات على معرفة المتحدّث والمستمع بالسّياق الزّمانيّ والمكانيّ للحديث؛ أي تقترن الإشاريات بفعل الإشارة إلى موضوع ما وتنطّبق على زمرة من الوحدات التركيبيّة والعوامل الدلاليّة غير المنفّصلة عن سياقات الإنتاج.

سميت الإشاريات بهذا الاسم لأنها تشير إلى شيء محدد، وهي في عمومها لها دور نحوي ووظيفة دلالية، فهي تمثّل روابط دلاليّة لا تتحدّد مراجعها إلا بتعيّين طرفيّ الخطاب (المرسل/المتلقي)، ولا تنعزل بأي حال عن السياق الكلامي، والّذي هو العمود الفقري للخطاب، كما يؤطر مقاصد المتكلم، فالقصدية جزء لا يتجزّأ من النصيّة وواحدة من مقوّماتها.

يفهم من ذلك أن الإشاريّات عبارة عن علامات محيلة غير منفصلة عن فعل التّلفظ، وهو فعل يقتضي متلفِّظا يتوجّه بخطابه إلى مخاطب، ضمن إطار زمانيّ ومكانيّ محدّد، لذلك لا يمكن إسناد دلالة ما إلى ملفوظ معيّن دون الوقوف عند الإشاريّات من جهة، وعند إنتاج

سياق الملفوظ من جهة أخرى، فضمير المتكلّم "أنا" يظلّ مجردا مبهما، ما لم تقترن إحالته بسياق معلوم لدى المتخاطبين، وكذلك الحال مع "الآن" و"هنا" وغيرهما، على هذا الأساس يمكن أن يكون للإشاريّات طابعا اصطلاحيّا تواضعيّا، شأنها في ذلك شأن علامات اللّسان الأخرى[1].

من المتعارف عليه أنّ التّداوليّة جاءت لتناقش جملة من القضايا الّتي تتعلّق بالاستعمال اللّغويّ، والّتي أهملتها اللّسانيات وعلم الدّلالة، وكان من بين هذه القضايا الإشاريات "لقد جاء الاهتمام بهذه الظّاهرة متأخّرا، وقد برز على الخصوص مع فجر الفلسفة المعاصرة للّغة، حيث تركّز الاهتمام بهذه الظّاهرة باعتبارها خاصيّة تطبع بعض العبارات اللّسانيّة. انطلاقا من هذا التّقليد اعتبرت الإشاريات مكّونا لسانيا تتغيّر مساهمته الدّلاليّة بتغيّر سياق التّلفظ قصد إنجاز وظيفة إحاليّة معيّنة، ذلك أنّ النسبيّة السّياقيّة لهذه العبارات تؤثر في إحاليتها"[2].

لقد أشار "بارهليل" إلى مدى أهميّة العبارات الإشاريّة أو التّلفظات الإشاريّة في سياق التّواصل اللّساني العادي، ويقول بارهليل أنّ أكثر من تسعين بالمائة من التّلفظات الّتي ننطق بها في سياق حياتنا اليوميّة هي تلفظّات إشاريّة يحدّدها السّياق التّلفظي الّذي وردت فيه[3]. إنّ استخدام التّلفظات اللّغويّة يحتّل حيّزا كبيرا في خطاباتنا اليوميّة ممّا يخلق للظرفيّة مكانة هامّة في وسط الخطاب التّفاعليّ، وبذلك نفتح مجالا للسّياق بأن يأخذ مكانه وسط حواراتنا

[1]- جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، ص:76-77.

[2]- يوسف السّيساوي، الإشاريات: مقاربة تداوليّة، كتاب جماعيّ، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيلي علويّ عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2011، ص441.

[3] - Voir : Y. Bar-hillel, Indexical Experssions, In Aspect of language, Ed : magnes, 1970, p80.

فغالبا ما يكون مستعملي اللغة في غنى عن التّواصل اللّغوي عندما يستندون إلى السّياق من أجل فكّ شفرات الخطاب، فيكون التّواصل غير اللّغوي بمثابة المعين للتّواصل اللّغوي.

ولقد ذهب "جورج يول" مذهب بارهيليل، في قوله بأنّ أولى الصيغ التي ينطق بها الأطفال، وتستعمل في الإشارة إلى الأشخاص عبر التأشير الشّخصي (أنا وأنت)، أو إلى المكان بواسطة التأشير المكاني (هنا وهناك)، أو إلى الزمن من خلال التأشير الزماني (الآن، آنذاك)، وتعتمد هذه التعابير كافة على متكلم ومستمع يشتركان في سياق واحد.

2- **أصناف الإشاريات:**

1.2. الإشاريات الشخصية:

تطرّق النّحاة لموضوع الإشاريات الشّخصية من خلال باب الضّمائر، وقد ذكر السكاكي أن الضّمير "عبارة عن الاسم المتّصل المتضمّن الإشارة إلى المتكلم أو إلى المخاطب أو إلى غيرها بعد سابق ذكره"[1]، وهذا ما تعمّق فيه "جواد ختام" وأخذ به في كتابه "التّداولية أصولها واتّجاهاتها"، يقول أنّ: "الإضمار يظلّ مقرونا بعلم المخاطب والمتكلّم على حدّ السّواء"[2]، وترتبط الإشاريات بالدّرجة الثّانية الّتي أشار إليها خليفة بوجادي تتمثّل في دراسة مدى ارتباط الموضوع المعبّر عنه بملفوظه، أي دراسة حجم ما يبلغه المتكلّم من دلالات في الملفوظ الّذي يؤدّي ذلك[3].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة
المجلس العلمي للكلية

توسّع (بنفنيست) في تحليل الطّابع التّداولي للإشاريات الشّخصية من خلال فصول كتابه "مسائل في اللّسانيات العامّة"، ونخصّ بالذكر فصل "الإنسان في اللّسان" وما تفرّع عنه

[1]- السكاكي، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1987، ص116.
[2]- المرجع السابق، جواد ختام، التاولية أصولها واتجاهاتها، ص78.
[3]- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص:79.

من مباحث كـ"طبيعة الضّمائر" و"الذّاتية في اللّسان" ففي مبحث طبيعة الضّمائر مثلا توقّف بنفيست عند التّمييز الّذي تقيّمه اللّغة الفرنسية بين ثلاثة أنواع من الضّمائر في ضمير المتكلّم "je" وضمير المخاطب "tu" وضمير الغائب "il"، ويؤسّس بنفيست لعلاقة وثيقة بين الضّمائر وسياقات الكلام، مؤكّدا أنّها لا تنتمي لطبقة واحدة متجانسة، فضمير المتكلّم والمخاطب لا يحيلان إلى واقع ما أو وضعيات موضوعيّة وإنّما إلى ملفوظ ذاتي ومنفرد.[1]

2.2. الإشاريات الزمانية:

شغل الزّمن حيّزا مهمّا في دراسة الإشاريّات، سواء تعلّق الأمر بزمن الفعل أو بظروف الزّمان، وهو ما نلمسه بعمق في كتاب بنفيست "مسائل في اللّسانيات العامّة" خصيصا في مبحث "علاقات الزّمان في الفعل الفرنسي"، إذ اتّضح له أن دلالة الزّمن لا تحدّد بزمن الفعل أو الظّروف في حدّ ذاته، وإنّما بزمن التّلفظ، معنى ذلك أنّنا عندما نعمد لظرف زمن مثل: أمس، فإنّ دلالته تحدّد بالزّمن الّذي أنتج فيه الملفوظ، أي أنه يدل على اليوم الذي سبق يوم إنتاج الملفوظ، وبالمثل فإنّ "غدا" تدلّ على اليوم الّذي يلي زمن الحديث، ومن هذا المنظور يتّضح أنّ الزّمن يقدّر ما يمثّل عنصرا ملازما لكلّ لغة وحدث لغويّ بقدر ما تتصّل دلالته بالخطاب والاستعمال[2].

3.2- الإشاريات المكانية:

لا يفترق الزّمان عن المكان، إذ أنّها لا تحمل دلالتها في ذاتها، بل إنّ معناها يتحدّد بسياق التّلفظ، والحديث عن الإشاريات الزّمانية والمكانية يجرّنا للوقوف عند أسماء الإشارة

[1]- جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، المرجع السابق، ص:79.

[2]- المرجع السّابق، ص:80.

باعتبارها وحدات معجميّة ذات طابع إحالي، وهو ما نلمسه في تعريفاتها المختلفة بأنّها هي وضع لمسمّى وإشارة إليه، وهو في القرب مفردا مذكرا "ذا" ثمّ "ذاك" ثمّ "ذلك" و"آلك" وللمؤنّثة "تي" و"تا" و"ته" و"ذي" وذه"، وتكسر الهاءان باختلاس وإشباع، و"ذات" ثم "تِيْك" و"تَيْك" و"ذيك" (...)، وتلازم أسماء الإشارة صفة الإبهام فهي لا تحيل بذاتها بقدر ما تهتمّ وتعتمد اعتمادا كلّيا على غيرها للانتقال من حالة الإبهام إلى حالة التّعيين والتّحديد.[1]

4.2- الإشاريات الخطابيّة:

وهي تلك الأدوات أو شبه كلمات الّتي تشير إلى عناصر في الخطاب أو النّص، مثال: هذا وذلك، كقولك: "هذا ما قصدته"، تريد أن تشير بها إلى فكرة ذكرت مسبقا.

5.2- الإشاريات الاجتماعيّة:

تعكس ألقاب الاحترام أو الوضع الاجتماع، مثال: "حضرتك"، "سعادتك" فاستخدامها: "حضرتك على حق" تعبر عن الاحترام للمخاطب.

3- أهمية الإشاريات في اللغة:

الإشاريات هي أداة أساسية لفهم المعنى بناءً على السياق. كما تُساعد في تحديد المشاركين في الحديث، والمكان، والزمن، مما يجعل النص أو الحديث أكثر وضوحًا.

4- الإشاريات في اللغات المختلفة:

تختلف الإشاريات بين اللغات من حيث الكلمات المستخدمة والقواعد التي تتحكم في استخدامها. على سبيل المثال: في اللغة العربية: يُستخدم "هنا" و"هناك."

في اللغة الإنجليزية: تُستخدم "here" و."there".

[1]- ينظر، جواد ختام التداولية وأصولها واتجاهاتها، ص: 81.

5- التطبيقات العملية للإشاريات:

- في الترجمة:

يتطلب ترجمة الإشاريات فهمًا دقيقًا للسياق الثقافي. مثال: "هذا المكان رائع" قد يحتاج لتوضيح إضافي في لغة لا تُستخدم فيها إشاريات مشابهة.

- .في تحليل الخطاب:

تُساعد في فهم العلاقات بين الجمل داخل النصوص.

- في الذكاء الاصطناعي:

تُستخدم في برمجة أنظمة فهم اللغة الطبيعية مثل المساعدات الافتراضية.

في الختام نقول إنّ الإشاريات جزء أساسي من التواصل الإنساني، وتعتمد أهميتها على السياق الذي تُستخدم فيه. فهم الإشاريات يُسهم في تحسين الترجمة، وتطوير أنظمة الذكاء الاصطناعي، وتحليل النصوص والخطابات.

المحاضرة التّاسعة:

قواعد التّخاطب

المجلس العلمي للكلية

تأتي قواعد التّخاطب كمجموعة من المبادئ الّتي تُنظم كيفيّة استخدام اللّغة في التّفاعل بين الأفراد لتحقيق تواصل فعّال ومفهوم، وتستند هذه القواعد إلى دراسات التّداوليّة والّتي تهتم بالسّياق الاجتماعي والتّواصل العمليّ بدلا من التّركيز على المعاني المجرّدة للجمل، وفيما يلي سنعرض جملة من القضايا الّتي تعتبر قوام قواعد التّخاطب.

1- الاستلزام الحواري:

لاحظ غرايس أن جمل اللّغات الطّبيعية يمكن في بعض القامات أن تحلّ على المعنى الذّي يودي به محتواها القضوي (أو معنى الحرفي لنتأمل المقام، وأصبح يميّز في نظريّة أفعال الكلامية بين القوّة الإنجازيّة الحرفيّة، والقوّة الإنجازيّة المستلزمة، أما الأولى فهي القدرة المدركة مقاليّا، والّتي يدلّ عليها بصيغة الفعل، كما هو الأمر بالنّسبة إلى الأمر أو الأداة، كما هو الحال في النّهي أو بالتّنغيم أو بفعل إنجازي مثل: سأل، التمس، وعد...إلخ، ويراد بالقوّة الإنجازية المستلزمة المدركة مقاميّا، والتي تستلزمها الجملة في سياقات مقاميّة معيّنة، ولا قرائن بنيويّة تدلّ عليها في صورة الجملة على النّحو الآتي:

* يكتب الأستاذ "أ" للأستاذ "ب" متسائلا عن استعداد الطّالب "ج" لمتابعة الدّراسة الجامعية في قسم الأدب العربي فيجيب الأستاذ "ب":

(1) إن الطّالب "ج" لاعب كرة سلّة ممتاز.

إذا تفحّصنا الحمولة الدلاليّة للجملة (1) وجدنا أنها تدلّ على معنيين اثنين في الوقت نفسه: (معناها الحرفي أن الطّالب "ج" من لاعبي كرة السلّة الممتازين) ومعنى مدرك مقاميا (أن الطّالب "ج" ليس له أي استعداد لمتابعة الدّراسة الجامعيّة في قسم الأب العربي). ولوصف هذه الظّاهرة يقترح غرايس وضع مجموعة من القواعد يعدّها ضابطة لكلّ حوار لغوي وهذه القواعد: أربع قواعد يحكمها جميعها مبدأ عام "مبدأ التّعاون"[1] .

وفيما يلي صياغة مبدأ التّعاون والقواعد الأربع المتفرّعة عنه:

2- مبدأ التّعاون:

لقد عرف المبدأ التّداولي الأول للتّحاور باسم "مبدأ التّعاون" وورد نصّ هذا المبدأ في اللّسانيات الحديثة عند الفيلسوف الأمريكي "بول كرايس" إذ ذكره لأول مرة في دروسه المقرونة بعنوان محاضرات في التّحاور ومفاد هذا المبدأ، أن على أطراف الحوار أن تتعاون فيما بينها لتحصيل المطلوب. بمعنى أنّه يوجب أن يتعاون المتكلّم والمخاطب على تحقيق الهدف من الحوار الّذي دخلا فيه، وقد يكون هذا الهدف محدّدا قبل دخولهما في الكلام، أو يحصل تحديده أثناء هذا الكلام[2].

ومن قواعده الأربع نذكر ما يلي:

1- **قاعدة الكمّ**: تعتبر حدّا دلاليّة القصد منه الحيلولة دون أن يزيد أو ينقص المتحاورون من مقدار الفائدة المطلوبة وتتفرغ بدورها إلى:

أ- لتكن إفادتك للمخاطب على قدر حاجته.

[1]- أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، دار الكتاب الجديد المتحدة، الرباط، المغرب، ط1، 1989، ص: 26-27.

[2]- العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري، ص:98.

ب- لا تجعل إفادتك تتجاوز حدّ المطلوب.

2- **قاعدة الكيف**: القصد منها منع ادّعاء الكذب أو إثبات الباطل، ولهذا يطلب من المتكلّم ألاّ يورد من العبارات سوى الّتي وقف على دليل يثبت صدقها وتم تفريعها إلى:

أ- لا تقل ما تعلم خطأه.

ب- لا تقل ما ليس لك عليه دليل.

3- **قاعدة العلاقة أو الورود الملائمة:** وهي بمثابة حدّ مقصدي، الهدف منها منع المتكلّم من أن ينزلق إلى مقاصد أخرى مخالفة لتلك التي استهدفها الخطاب، أي يراعي علاقة المقام بالمقال، وتقول هذه القاعدة: ليناسب مقالك مقامك، وترمي إلى أن يناسب القول ما هو مطلوب في كل مرحلة أي وجوب تعلّق الخبر بالمقام[1].

4- **قاعدة الجهة أو الكيفية:** مدار اختلافها عن القواعد السّابقة من حيث كونها لا ترتبط بما قيل، بل بما يراد قوله، أو الطريقة التي يّجب أن يقال بها، الهدف منها تجنّب الاضطراب والملل والإيجاز المخل في القول فهي ترتبط إذن بالقاعدة الأساسية التي تعبّر عنها ب"التزام الوضوح"[2] وتتفرّع إلى:

أ- لتحترز من الالتباس.

ب- لتحترز من الإجمال.

ت- لتتكلم بإيجاز.

ث- لترتب كلامك.

[1]- المرجع السّابق، ص:100.

[2]- المرجع نفسه، ص:101.

ويدرج غرايس هذا الضرب من الدلالة في تصنيف عامّ للمعاني الّتي يمكن أن تدلّ عليها العبارات اللّغوية. يقوم هذا التصنيف على المقابلات الآتية:

1- تنقسم الحمولية الدلالية للعبارة اللّغوية إلى معان "صريحة" ومعان "ضمنيّة"، وتعدّد معاني "صريحة"، المعاني المدلولة عليها بصيغة الجملة ذاتها في حين تعدّ ضمنيّة المعاني التي لا تدلّ عليها صيغة الجملة.

2- المعاني الضّمنية صنفان: معان حرفيّة ومعان حواريّة أو سياقيّة: تعدّ معاني "حرفية" المعاني المرتبطة بالجملة ارتباطا يجد لها لا تتغير بتغيّر السّياقات في حين تعدّد معاني "حوارية"، المعاني الّتي تتوّلد طبقا للسّياقات (أو المقامات) التي تنجز فيها الجملة[1].

أما المعاني القيمية المتولدة عن السّياق فهي نوعان: المعاني النّاتجة عن سياق خاص والمعاني البالغة من العموم إنّها لا تعدّ مرتبطة بسياق خاصّ أو بطبقة من السّياقات[2].

3- مبدأ التّأدب:

هو مبدأ قدّمه جيفري ليتش (Geoffrey leech) ويهدف إلى تقليل الخلافات وتعزيز التّفاهم يتضمّن مبادئ مثل:

- احترام الآخرين وتجنّب الإساءة.
- استخدام أساليب تلطيفيّة عند تقديم طلبات أو انتقادات.
- مراعاة مشاعر المتلقّي وظروفه.

[1]- أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، ص:27.

[2]- المرجع نفسه، ص:28.

كما أنّ لاكوف قد أفادت من مبدأ التعاون وطوّرته لتخرج بقواعد جديدة تهذب الخطاب وهي[1]:

- **قاعدة التعفف**: أي لا تفرض نفسك على المخاطب، اذ يجب عليك أن تحافظ على المسافة بينك وبين المخاطب ولا تقحم نفسك عنوة، فعليك تجنب الأفعال المباشرة في الطلب، فضلا عن تجنب الالحاح أو إكراه المخاطب على فعل ما تريد[2].
- **قاعدة التشكك(التخيير)**:أي تترك للمخاطب حق الاختيار بين القبول والرفض، كأن تستعمل أساليب الاستفهام في التخاطب كي تسمح للمخاطب بالمشاركة في اتخاذ القرار، وعدم الزامه بأسلوب الأمر المباشر، فتقول له مثلا:(هل تسمح أن تعيرني كتابك؟) بدلا من قولك (أعرني كتابك)، فالفرق بين الجملتين هو ان السياق الاول كان فيه تلطف وتأدب في الطلب وقد توفر فيه الشرطان (التعفف والتخيير).
- **قاعدة التودد**: أي أظهر الودّ لتكسب المخاطب، ويكون ذلك باستعمال صيغ (التصغير والكنية واللقب)، فهي تؤنس المخاطب وتطمئنه.

لقد ذهب الدكتور طه إلى أنّ قواعد غرايس الأربعة تجتمع في قاعدة التعفف التي ذكرتها لاكوف[3].

---

[1]- ينظر: عبد الهادي ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2004، ص 240-241.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص100.

[3]- ينظر: طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، بيروت،ط1، 1998، ص242.

3- مبدأ التواجه (براون وليفنسون): ويقصد به صيانة وجه الغير وحفظ ماء وجهه، وقسماه إلى ضربين:

- **الوجه الجالب:** حفظ ماء وجهه بحفظ ماء وجه المخاطب، عن طريق استعمال الاساليب غير المباشرة في التخاطب ويكون فيه تلطف وتودد، فهو يحدث الانس والألفة مما يسهم في انجاح التواصل الانساني
- **الوجه الدافع:** مفهوم سلبي يستخدم فيه المتكلم التهكم والسخرية والتهديد والتحذير والوعيد، أو أسلوب الأمر المباشر، إذ لا يعدّ كل ذلك من قبيل التلطف[1].

4- مبدأ التأدب الأقصى(ليتش):

لقد أورد ليتش مبدأ اللطف في الفعل الكلامي منطلقا من المبدأ التعاوني لغرايس الذي عدّه غير كافٍ وقواعده ليست شاملة للغة التخاطب، فأضاف بعض المعطيات الاجتماعية والنفسية وصاغها في ست قواعد على وفق ثنائيات متضادة (تأدب نسبي/ تأدب أقصى) ويعني به الاكثار من الكلام المؤدب والتقليل من الكلام غير المؤدب، والقواعد هي:[2]

- قاعدة اللباقة
- قاعدة السخاء
- قاعدة الاستحسان
- قاعدة التواضع
- قاعدة الاتفاق

[1]- ينظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التّكوثر العقلي، ص 243-245.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص 246-248.

- قاعدة التعاطف

يمكن لنا فيما يلي أن نضرب أمثلة توضيحيّة تمثّل لنا سلّما يحمل عبارات تبيّن لنا الطّلب وفق تدرّجات انطلاقا من قاعدة مبدأ التّأدب:

- احمل حقيبتي.
- أريد أن تحمل حقيبتي.
- هل يمكن أن تحمل حقيبتي؟
- لو سمحت أيمكن أن تحمل لي حقيبتي؟

يتوضّح لنا أنّ الجملة الأولى أنّها كانت بفعل الأمر المباشر الذي يخرق قاعدة التعفف وقاعدة الوجه الجالب وقاعدة اللباقة، أما الجملة الثانية فقد كانت جملة خبرية أخف وقعا من أسلوب الأمر تترك للمخاطب خيارا في إنجاز ما يطلب منه، والجملة الثالثة تلتزم بقواعد التلطف وأكثر لباقة من سابقتيها فقد سمحت للمخاطب بالمشاركة في القرار إما بالقبول أو الرفض، وجاءت الجملة الرابعة لتحقق مبدأ التأدب الأقصى وغاية اللطف، فالمؤشر القولي المستعمل لو سمحت كان الأكثر لباقة.

تُظهر قواعد التخاطب أن التواصل ليس مجرد تبادل للكلمات، بل هو عملية معقدة تتطلب تنسيقًا بين مختلف العناصر اللغوية والسياقية. ولذا فإن فهم هذه القواعد يسهم في تحسين فعالية التفاعل البشري، ويعزز التواصل السلس والمثمر بين الأفراد.

مخطّط قواعد التّخاطب:

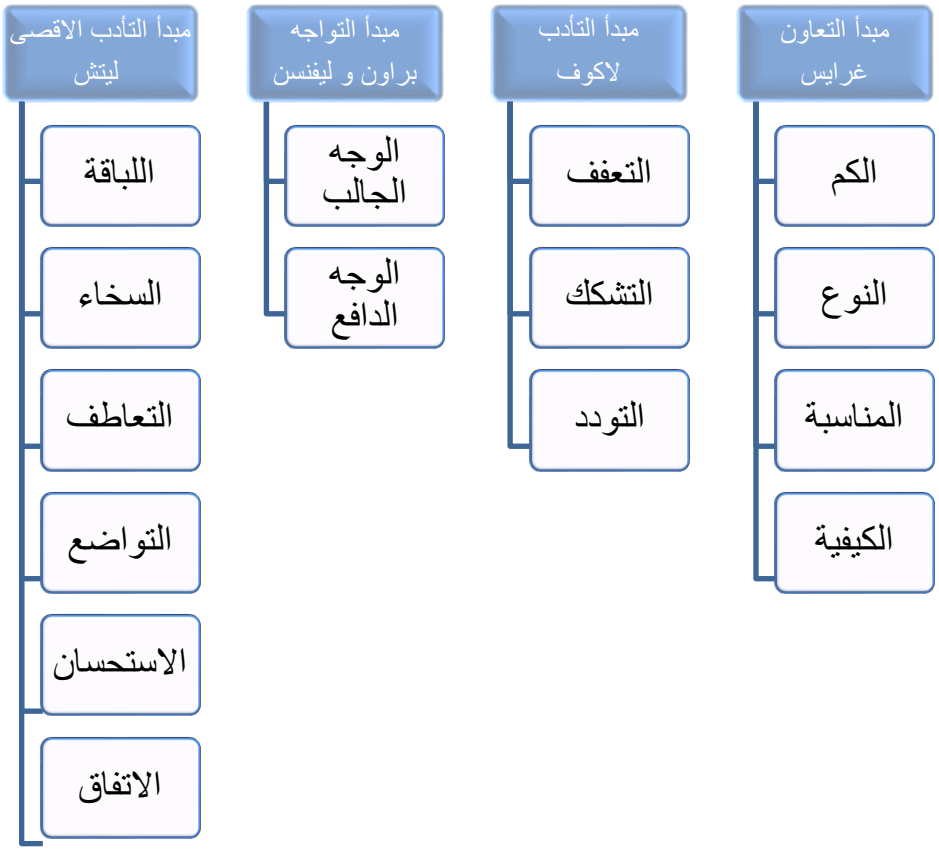

المحاضرة العاشرة:

جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم
المجلس العلمي للكلية
كلية الآداب واللغة العربية والفنون

الحجاج

يعدّ الحجاج من أهمّ المحاور التّداولية وفي تعريفه "يمكن أن يفهم بما هو مركّب منه (حجة argument)، ويمكن أيضا أن يعرّف معجميّا بأنّه معالجة المشكلات الكلاميّة، مما يتطلّب مواجهة حجاجيّة.

وبتعريف مختصر هو: "طريقة عرض الحجج وتقديمها، أمّا الحجّة تحديدا عرّفت في معجم اللّسانيات لجورج مونان، بقوله: "هي العناصر غير اللّسانية المشاركة في التّعبير، والّتي لها علاقة مع محلّ الجملة الذي هو النّواة".[1]

بالإضافة إلى هذا تنوّعت التّصورات والمفاهيم، إذ يرى بعض الدّارسين المعاصرين لمفهوم هذا الحقل نظرات مختلفة باختلاف الزّوايا المعرفيّة والمرجعيّات الّتي يغترفون منها مبادئهم وتصوّراتهم (بلاغيّة، لسانيّة، فلسفيّة....) فنجد عددا كثيرا من الدّارسين لاتباع مفهوم الحجاج نجد تعريفات عند:

أ- مفهوم بيرلمان Perlman وتيتكا tyteca للحجاج:

لقد أسهمت بحوث كل من "بيرلمان" و"تيتكا" في الكشف عن جوانب عميقة من البلاغة، بوصفها تأمل في اللّغة والفكر لاسيّما من خلال كتاب (شايم برلمان) الّذي صدر عام 1958، بعنوان (البلاغة الجديدة)[2]، وكتاب آخر ألّفه بالاشتراك مع (تيتيكا) بعنوان (دراسة

[1]- خليفة عوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص:106.

[2]- بتصرف، خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص:106.

الحجاج)[1]، والّذي درسا فيه التّقنيات الّتي تؤدّي بالأذهان إلى التّسليم بالموضوعات المعروضة عليها.

وتعرف نظريّة الحجاج l'argumentation بكونها نظريّة تعنى بدراسة التّقنيات techniques discursives الّتي تهدف إلى حثّ عقول المخاطبين إلى رفع نسبة تأييدهم adhésion إلى القضايا المطروحة للنّقاش في سبيل الوصول إلى اتفاق عامّ، وهو تعريف أشار إليه (برلمان) فهو يدعونا إلى التّفكير بالبلاغة القديمة، واتّفق معه تيتكا في هذا التّعريف، والحجاج في نظرهما تناول حقائق متعدّدة ومتدرّجة فمبعثه هو الاختلاف[2]، وذكر أيضا أنّ الحجاج له ضربين:

الأول: تمثّله البلاغة البرهانيّة، حيث يقوم على البرهنة والاستدلال، ويتتبّع الجانب الاستدلالي في المحاججة، يعتمد على العقل وهو خاصّ بالفيلسوف جمهوره ضيّق، غايته بيان الحقّ.

الثّاني: حجاج أوسع من السّابق، غرضه التّحلي بالذّاتية، يهتم بدراسة التّقنيات البيانيّة الّتي تسمع بإذعان المتلقي[3].

ب- مفهوم ديكرو Ducrot و انسكومير Anxomre للحجاج:

لقد عرض هذان الباحثان مفهوم الحجاج وآلياته من خلال كتابهما: "الحجاج في اللّغة" صدر عام 1983، وهو يختلف عن المفهومات السّابقة لأنه حجاج لسانيّ "لغويّ"، فهو حجاج يقوم على اللّغة يجعل الأقوال تتتابع وترتابط على نحو دقيق وتكون بعضها حججا تدعم وتثبت بعضها الآخر، أي يكون بتقديم المخاطب قولا (ق1) يفضي إلى التسليم بقول آخر (ق2)

[1]- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، ص:107.

[2]- بتصرف، المرجع نفسه، ص:106.

[3]- نفسه، ص:107.

وهو بلغة الحجاج تكون صريحة أو مضمرة فيكون على المتلقّي استنتاجها لا من مضمون هذه الأقوال الإخبارية بل اعتمادا على بنيتها اللّغوية تكون مفهومة من (ق1)[1]،مثال:

- أنا جائع، إذن أنا بحاجة إلى الأكل.
- أشرقت الشّمس، لنذهب إلى نزهة.

وقدّم ديكرو إلى جانب ذلك تحليلا سمّاه (آليّة المعنى)، بيّن من خلاله أنّ الجملة في اللّغة تدرس بالمكون اللّغوي الّذي يخصها بالدّلالة ثم تعالج هذه الدّلالة بالمكوّن البلاغي الذي يخصها بمعنى، هو معنى ملفوظ.[2]

4- الملكة التّداولية:

ترى التّداولية أنّه على المخاطب بشكل عام والمبدع بشكل خاصّ أن يكون ذا ملكة تداوليّة، ففي نظر علماء التّداولية أنّ هذه الملكات تعمل على نجاح العمليّة التّخاطبيّة وحسب ما ذهب إليه "فان ديك" فإنّ اللّغة التّواصلية لدى مستعمل اللّغة الطّبيعية تتكوّن من خمس ملكات على الأقل وهي[3]:

أولا: الملكة اللّغوية: تأليف عبارات لغويّة صحيحة ومتنوّعة، ومؤوّلة تأويلا صحيحا، في عدد كثير من التّواصلات.

ثانيا: الملكة المنطقيّة: بإمكان مستعمل اللّغة الطّبيعية، أن يشتقّ معارف لغويّة بواسطة قواعد استدلال تحكمها مبادئ المنطق الاستنباطي، والمنطق الاحتمالي.

[1]- ينظر، خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص:111.

[2]- نفس المرجع، ص:111.

[3]- ينظر، فان ديك، علم النص، ترجمة وتعليق سعيد حسن البحيري، دار القاهرة، ط2، 2005م، ص: 360.

ثالثا: الملكة المعرفيّة: يستطيع مستعمل اللّغة الطّبيعية أن يستعمل اللّغة والنّحو الّذي تريد تأويله.

رابعا: الملكة الإدراكيّة: يستطيع مستعمل اللّغة الطّبيعية من أن يدرك محيطه وأن يشتقّ من إدراكه ذلك معارف وأن يستعمل هذه المعارف.

خامسا: الملكة الاجتماعيّة: لا يعرف مستعمل اللّغة الطّبيعية اللّغة فحسب بل يّجب أن يعرف في أيّ مقام يستعملها.

ما يمكن أن نقوله في الأخير، في الختام، يُعد الحجاج في التداولية عنصرًا أساسيًا في فهم كيفية استخدام اللغة لتحقيق التأثير والإقناع ضمن سياقات مختلفة. فهو لا يقتصر على تقديم الحجج المنطقية، بل يتجاوز ذلك ليشمل فهم السياقات الاجتماعية والثقافية التي تساهم في نجاح عملية الإقناع. ومن خلال أدواته واستراتيجياته، يُظهر الحجاج دوره المحوري في تعزيز التواصل الفعّال وبناء علاقات إنسانية مبنية على الفهم والتأثير المتبادل.

إن دراسة الحجاج التداولي تسهم في تطوير مهاراتنا التواصلية، سواء في الحياة اليومية أو في مجالات متخصصة كالتعليم والسياسة والإعلام، مما يجعله أداة لغوية لا غنى عنها لتحقيق الأهداف والتأثير في الآخرين بذكاء وفعالية.

-المحاضرة الحادية عشر:

جذور التّداوليّة عند العرب -1-.

إنّ الحديث عن جذور التّداوليّة في التراث العربي لا يعني فقط محاولة تأصيل لمفاهيمها ضمن أطر المدونة التراثية العربيّة، لأنّ الغاية الأولى هي تبيان الامتدادات المعرفيّة للمدونة العربية، وتقديم جانب من الأفكار الرائدة الّتي عرضها علماء العربيّة قديما، وفي ذلك دلالة على أنّه إن غاب المصطلح فهذا لا يعني بالضرورة غياب الممارسة والمفهوم.

والواقع أنّ حاجة البحث اليوم إلى مقولات الدرس الغربي الحديث وكشوفاته، لا تلغي بأيّة حال حاجته القائمة إلى التراث العربي والإنساني على اختلاف مشاربه، لتحديد رؤاه، وضبط أصول المعرفة الإنسانية، لئلا تكون مسايرة للفكر الحديث ومعزولة عن أي مرجعيّة أو هويّة، كما هو واقع اليوم في كثير من المجالات[1].

فإذا ما نحن أردنا مناقشة تمظهرات مفاهيم التّداوليّة في التراث العربي، وجب منا النّظر إلى كل الآراء ترتبط "بالتّواصل اللغوي من الاهتمام بالسامع واعتبار المخاطب، وبيان دور المتكلّم في صياغة الخطاب وإنتاجه، والإلمام بكلّ العناصر الفاعلة في الإبلاغ، ومعيار الصّدق والكذب في الأساليب وفي الشّعر، والمطابقة مع الواقع وعدمه؛ ذلك أنّ دراسة اللّغة في التراث العربي، ميّزتها بعض السّمات الّتي هي من أهمّ المبادئ التّداوليّة الحديثة؛ فقد تناول الدارسون القدامى مثلا:

[1]- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، المرجع السابق، ص138.

- أنّ التكلّم يتم لغايات وأهداف أو إشباع حاجات أو الحصول على الفائدة، وأقوى مثال عن ذلك قول "بن جنّي" في تعريفه للغة حيث يقول: "أمّا حدّها فإنّها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[1].
- تستعمل اللغة للأغراض والمآرب ذاتها.
- يضفي المتحاورون على الملفوظات دلالات أخرى غير ظاهرة.
- لا تغفل البلاغة العربية ذلك بل إنّها تعتمد مبدأ "لكل مقام مقال".[2]

وعن أسبقيّة العرب في طرقهم لمفاهيم الاستعمال اللغوي وآلياته، يقول محمد سويرتي:" إنّ النّحاة والفلاسفة المسلمين، والبلاغيين والمفكرين مارسوا المنهج التّداولي قبل أن يذيع صيته بصفته فلسفة وعلما، رؤية واتجاها أمريكيا وأوربيا، فقد وُظّف المنهج التّداولي بوعي في تحليل الظّواهر والعلاقات المتنوعة"[3] .ومن بين أهم علوم العربيّة الّتي تعتبر مصادر مهمّة للتّفكير التّداولي اللّغوي عند العرب: علم البلاغة، علم النّحو، النّقد، الخطابة، بالإضافة إلى ما قدّمه علماء أصول الفقه الّذين يمثلون –إلى جانب البلاغيين- اتجاها فريدا في التراث العربي، يربط بين الخصائص الصورية للموضوع وخصائصه التّداوليّة، كما أنّ الإنتاج اللّغوي العربي القديم يؤول في مجموعه إلى المبادئ الوظيفيّة[4].

لقد تعدّدت أشكال اهتمام علماء العربيّة التراثيين بدراسة الخطاب وأسس بنائه وطرق الإقناع فيه، فتناولوا نصّ الخطاب في ذاته ودرسوا ما يرتبط بالمخاطِب لمقتضى الظاهر

[1]- ابن جني، الخصائص، تح : عبد الحكيم بن محمد، المكتبة التوفيقية، ج01، ص44.

[2]- ينظر : محمد سويرتي، اللغة ودلالاتها، تقريب تداولي للمصطلح البلاغي، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مجلد28، ع03، يناير/مارس 2000، ص30.

[3]- المرجع نفسه، ص30-31.

[4]- ينظر: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفيّة، مدخل نظري، منشورات عكاظ، المغرب، 1989، ص35.

ومخالفته ونورد فيما يلي أمثلة من آراء بعضا من العلماء في أهم القضايا الّتي تناقشها البحوث التّداوليّة وتعتمدها في التّحليل:

1- قصديّة المتكلم:

تنبو دراسات التّراثيين وتحليلاتهم عن وعيهم الثّاقب حول الكيفيات والطرق الّتي يتشكّل بها الخطاب؛ من ذلك رؤى الكاتب ومقاصده والّتي تعتبر الموجّه الأساسي لأفكار المتلقي، ذلك أنّ الكاتب وعند شروعه في فعل الكتابة لا بدّ له أن يضع في مخيّلته قارئا معيّنا يخاطبه ويحاوره حتّى يتمكّن من استنسال أفكاره، "فالمؤلّف ينتج النّص ويكون مسؤولا عمّا يحمله هذا النّص من أهداف وغايات. أمّا الجمهور فهم القرّاء المستهدفون، وهم الأشخاص المتخيّلون الّذين يخاطبهم الكاتب ويجيب عن تساؤلاتهم"[1] .

لقد ارتبطت آراء العلماء القدامى بعمليّة التّفاعل أو التّبليغ الّتي تتضمّنها النّصوص الأدبيّة جاعلين الدّافع الرّئيس لهذه العمليّة مقاصد الكاتب نفسه*، والّتي تقف خلف كلّ عمل إبداعي. وما نلحظه حول الاستخدامات الاصطلاحيّة التّراثيّة في التعبير عن ظاهرة القصد

---

[1] - ينظر: ميشال هوي، التّفاعل النّصي، مقدّمة لتحليل الخطاب المكتوب ، ص37..

* - درج الحديث كمفهوم ومصطلح في مدونات الأصوليين وعلماء الفلسفة المسلمين، ويرجع اهتمام الأصوليين بهذا المصطلح كون الشّريعة الإسلاميّة شريعة مقاصد من أمّ فإنّها تجعل النّيّة أساس العمل لقوله صلّى الله عليه وسلّم:(إنّما الأعمال بالنيّات)، ومن المسائل الّتي كانت السبب الرئيس في بزوغ المصطلح واستواء عوده لدى الأصوليين مسألة البحث في أصل الكلام ونشأته، والّتي كانت مثار خلاف بين المعتزلة وخصومهم الأشاعرة، وجراء ذلك تبلور مفهوم القصد ومن خلاله مفهوم القصديّة، ومكمن الخلاف أنّ المعتزلة وعلى رأسهم القاضي عبد الجبار(415هـ) اشترط في الدّلالة الشّرعيّة واللّغويّة القصد زيادة على شرط المواضعة الّذي اكتفى به الأشاعرة، والذي لا تكمن معرفته إلّا بدلالة الكلام. ينظر: بوزيد صالحة، إشكاليّة القصديّة في الممارسة النّقديّة، المرجع السابق، ص54-55. كما وجّه الأصوليون عنايتهم إلى معرفة قصد المخاطَب وتحديد مرماه وأفردوا لذلك أبوابا في بحوثهم تناولوا فيها قصد الشّارع وقصد الخطاب في عمومه،/ وكان الهدف من ذلك أن لا تتصادم الفتوى بمعنى من كتاب الله عزّوجل أو تتعارض مع سنّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أو تناقض مقصدا من مقاصد الشّريعة الّتي تهدف إلى إقرار العدل بما يساير المصلحة العامّة. فالقصد عند الأصوليين سمة جوهريّة ربطوها بخطاب الشّارع وأحكام الشّريعة. ينظر: موسى إبراهيم الإبراهيم، المدخل إلى أصول الفقه وتاريخ التّشريع،شركة الشّهاب، الجزائر، 1989، ص81.

أمّا عن القصديّة عند الفلاسفة المسلمين فقد فرّقوا بين المقاصد الأولى والمقاصد الثّانيّة، فالمقاصد الأولى تعنى بالأشياء وملامحها خارج العقل، أ مّا المقاصد الثّانيّة فهي المفاهيم الّتي تتعلّق بالمقاصد الأولى. ومن خلال ما تقدّم يبدو تأثّر الفلاسفة العرب بما قدّمه أرسطو جليّا. ينظر: صلاح إسماعيل، فلسفة العقل دراسة في فلسفة سيرل، دار قباء للنشر، القاهرة، 2007، ص170.

أنّها تشهد تنوّعا ليس من قبيل الاختلاف وإنّما هو ثراء اصطلاحي، فمن الغرض إلى الحاجة، إلى المراد أحيانا وأحيانا أخرى يعبّرون بالفائدة.

إنّ اهتمام علمائنا قديما بالنّص الأدبي لم يتوقّف عند حدود البنى التّركيبيّة فيما يتعلّق بحسن التّأليف، وسلامة الأداء، وصحّة التّركيب، بل تعدّى الأمر ذلك ليرتبط بمقاصد المتكلّم وغاياته وقدرته على بناء قناة تواصليّة يوصل من خلالها أفكاره ورؤاه للمتلقّي، فكثيرا ما ارتبط تعريف البلاغة لديهم بقدرة المتكلّم على الإفهام في فكرة كثيرة الدّور في المدوّنات التّراثيّة على أنّ كل من أفهمك حاجته فهو بليغ[1].

وتدعيما لما أوردناه سابقا، نوجه العناية لقول الجاحظ في تعريفه للبيان والّذي يقول فيه: "البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتّى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان؛ لأنّ مدار الأمر والغاية الّتي يجري القائل والسامع، إنّما هو الفهم والإفهام؛ فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع"[2]، يمكن لنا أن نتبيّن من القول السّابق ذكره أربعة عناصر تتأسّس وفقهم العمليّة التواصليّة وهي: المعنى، القائل والسّامع، الأمر والغاية، ثمّ الفهم والإفهام، فالغاية الّتي يسعى لها القائل في نظر الجاحظ هي إيصال المعنى للسّامع وتحقّق فعل الفهم والإفهام، على أن تبقى المزيّة محفوظة في نظره للمُفهِم على المُتفهّم.

وإذا ما تصفحنا مدونة "الباقلاني" إعجاز القرآن، نجد أنّ الإمام على وعي كامل بحقيقة هذا الغرض ومدى فاعليته في توجيه إنتاج النّص، فالغاية من البلاغة عنده:" الإبانة في الإبلاغ

[1] - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج01، 113.

[2] - الجاحظ، البيان والتّبيين، المصدر السابق، ص76.

عن ذات النفس على أحسن معنى وأجزل لفظ، وبلوغ الغاية في المقصود بالكلام"[1]، يتقاطع قول "الباقلاني" هاهنا مع قول دي بوجراند، فعندما تحصل الإبانة عمّا في النفس يستدعي ذلك أن يكون هذا في صورة معينة، تتجسّد من خلالها قصدية المتكلم في أن يكون قوله على أحسن معنى وأجزل لفظ(الاتساق والانسجام)، وبهذا تتحقق الغاية المرجوة من الكلام. في القول السابق ذكره يتضّح أنّ النّاقد البلاغي ربط القصد بالبلاغة إلّا أنّه في موطن آخر يبيّن أنّ غاية الكلام عامّة هي الإبانة عن المقاصد، فيقول:" الكلام موضوع للإبانة عن الأغراض الّتي في النّفوس، وإذا كان كذلك وجب أن يتخيّر من اللّفظ ما كان أقرب إلى الدلالة على المراد، وأوضح في الإبانة عن المطلوب"[2].

2- مراعاة حال المُخاطَب:

تتجسّد عمليّة التّلقي من خلال المشاركة أو المواجهة الفعليّة القائمة بين المتلقّي والنّص، لذلك عنى النقاد العرب القدامى منذ بدايات عملياتهم النقدية المبكرة بالمستمع/القارئ، واهتمامهم هذا نابع من اهتمام الشعراء والخطباء أنفسهم بهذا العنصر، إذ يسعون دائما إلى أن يقع كلامهم موقع القبول لدى السامع، فـ"الكثير من المقالات في كتبنا البلاغيّة القديمة، والّتي تُعنى بجانب المستقبل من ناحيّة مخاطبته على مستوى فهمه ودرجة تفكيره وأنماط مداركه. فهذه النّاحيّة لا بدّ أن تكون أولى اهتمامات المبدعين، ليصلوا إلى غاياتهم في صنع خطاباتهم"[3]. وعليه كان قيام دراساتهم ونقودهم خاصّة الجزء البلاغيّ منها

[1] - الباقلّاني، إعجاز القرآن، السابق، ص286 .

[2] - المصدر نفسه ، ص117.

[3] - مطير بن سعيد بن عطيّة الزّهراني، استقبال النّص عند الجاحظ، السّابق ، ص15.

إنّما كانت تدعو للإقناع والتّأثير، وحتّى يحصل المراد من ذلك قسّموا النّاس إلى طبقات وحدّدوا طرقا مناسبة في الخطاب تواتي أقدارهم.

إنّ إيّ عمليّة خلق لنص أدبي تستوجب حضور متلقٍّ بحاله، وإذا ما قلنا بحاله فنحن نقصد جوانبه الدّاخليّة الّتي يكون عليها أثناء تلقيه الخطاب، وهذا يقتضي مجموعة من الإجراءات التّعبيرية تبرز في ثناياها غاية التّأثير. هذا ما نلحظه عند "الجاحظ" وهو يؤسّس لهذه القاعدة والّتي مفادها: أنّه لن تكون هناك قناة تواصل بين النّاس إن لم يفصحوا عن سرائرهم، حيث يقول: " قال بعض جهابذة الألفاظ ونقاد المعاني: المعاني القائمة في صدور النّاس المتصورة في أذهانهم، والمختلجة في نفوسهم، والمتصلة بخواطرهم، والحادثة عن فكرهم، مستورة خفية، وبعيدة وحشية، ومحجوبة مكنونة، ...لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه، ولا حاجة أخيه وخليطه، ولا معنى شريكه والمعاون له على أموره إلاّ بغيره، وإنّما يُحي تلك المعاني ذكرهم لها وإخبارهم عنها واستعمالهم إيّاها"[1]، يظهر جليا من خلال هذا النّص أنّ مؤسّس النّقد العربي يجعل "القيم الجماليّة والمعرفيّة كامنة في العمل الشّعري، إلّا أنّها لا تتحقّق فعليا إلّا في لحظة استقبالها، وهو ما يمكن أن نسمّيه "الفعل"؛ أي انتقال الموضوع إلى حالة وجود بالفعل، حيث إنّ الموضوع هنا (وجود بالقوّة) أضيفت إليه ذات (تلقي) فأصبح وجودا بالفعل"[2].

وفيما يُروى عن الخليفة عمر -ﷺ- أمره بأن تُنزّل النّاس منازلها، والرّأي ذاته ينطلق منه "الجاحظ" في التّأسيس لعمليّة التّقبل، حيث يقول: "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني،

[1] - الجاحظ، البيان والتّبيين، ج01، ص75.

[2] - مطير بن سعيد بن عطيّة الزهراني، استقبال النّص عند الجاحظ، ص45.

ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً ، ولكل حالة من ذلك مقاما، حتّى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"[1]، وكأنّا بالجاحظ يريد أن يتحدّث عن ثقافة المتكلّم ومعرفته بكلّ الجوانب والظّروف الّتي تحيط بإنتاج النّص.

وفيما أورد صاحبنا من أحاديث دالة على مدى عناية العرب بحصول القبول لدى السّامع بصورتيه البصريّة والسّمعيّة، ما جاء في قول "عبد الله بن مسعود "حيث يقول: "حدّث النّاس ما حَدَجُوكَ بأبصارهم، وأَذِنُوا لك بأسماعهم، ولحظوك بأبصارهم، وإذا رأيت منهم فِترة فأمسك"[2]، إنّ النّص الّذي أورده "الجاحظ" يخالف ما نصّ عليه في الأقوال السابق ذكرها، فرعاية الأحوال ههنا من قبيل ما يتجلّى للمتكلّم من صور المتلقين والّتي تنبؤه بحالهم إن كانوا متقبّلين للنّص، فيلحظ منهم العناية والاهتمام بإقبالهم على المجلس بكلّ جوارحهم هنا يمكن للمتكلّم أن يأخذ نصيبه في الحديث والعكس إن حدث.

ولا يمكن للنّفس البشريّة أن تُذعن لأيّ متكلّم أو أيّ خطاب دونما أن تلقى فيه ما يريحها ويُعمِل فيها سحره، وهذا ما نوّه به "ابن طباطبا" في قوله:" وعلّة كلّ حسن مقبول الاعتدال، كما أنّ علّة كلّ قبيح منفيّ الاضطراب، والنّفس تسكن إلى كلّ ما وافق هواها، وتقلق ممّا يخالفه، ولها أحوال تتصرّف بها، فإذا ورد عليها في حالة من حالاتها ما يوافقها اهتزت له وحدثت لها أريحيّة وطربت، فإذا ورد عليها ما يخالفها قلقت واستوحشت"[3].

[1]- الجاحظ، المصدر السّابق، ج01،، ص138-139.

[2] - نفسه، ج01، ص104.

[3] - ابن طباطبا العلوي، عيّار الشّعر، ص21.

المحاضرة الثّانيّة عشر:

جذور التّداوليّة عند العرب -2-

تتمة لما تمّ عرضه عن المكنونات العربيّة التّراثيّة الّتي تصبّ في قالب البحث التّداولي، نواصل عرض أهمّ المفاهيم الّتي يمكن لنا اعتبارها مقوّمات الدّرس التّداولي عند العرب:

3- السّياق:

إنّ عمليّة ربط البنيّة اللّغوية بالسياق الخارجي هي من أجل توليد أو إنتاج المعنى، فالسيّاق الجيّد هو الّذي يسمح بإزالة الغموض وإماطة اللّثام عن معنى النّص، ومن هذا المنطلق وجب وضع النّص في مقامه المناسب من أجل توضيح مفهومه. وهذا ما دفع علماء العرب قديما إلى إدراك "أهمّيّة ذلك المعيار، ففسّروا الآيات في ضوء مناسبتها للمواقف ، وأسباب نزولها، فلمّا فعلوا ذلك وُفّقوا في التّفسير. وهذا جانب آخر من جوانب المقاميّة، وهو معرفة وإدراك الموقف الّذي قيل فيه النّص، فهو خير معين على تفهّم النّص والوصول إلى الغرض الصّحيح إلى ما وراء الكلمات والعبارات الّتي طرحها النّص وألقاها في طريق ومسمع وبين يدي المتلقّي"[1].

ترتبط البلاغة بعمليّة التّبليغ في النّصوص الأدبيّة عن غيرها، فزيادة على ما يتضمّنه النّص من أفكار ومقاصد وأغراض يراد تبليغها، فإنّه يتطلّب صيّاغة أدبيّة غالبا ما يطلق فيها العنان للخيال والعاطفة، باستعمال الألفاظ الموحيّة المعبّرة عن المعاني النّاتجة عن التّلوينات الأسلوبيّة بشتّى أنواعها، وحينئذ تأخذ اللّغة مجرى مجازي ، هذا ما أثبته القدامى وفيها تتجلّى

[1] - محمد خليفة محمود، التّوحد الإبداعي في نحو النّص، المرجع السّابق، ص20.

البراعة في الأوصاف الّتي قدّمتها قراءاتهم في أداء المعاني[1]. فللّغة العربيّة نظامها التّأليفي الخاص والّذي من خلاله يمكن للمتكلّم أن يصل إلى مقصده بإيصال المعنى لقلب السّامع في معرض حسن من القول، "ومن هذا المنطلق، جاز القول أنّ مقولة "لكل مقام مقال" أو "لكلّ كلمة مع صاحبتها مقام" و "مطابقة الكلام لمقتضى الحال" هي من جوامع الكلم الّتي وقعوا عليها والّتي تصدق على دراسة ومقاربة المعنى"[2]. فغاية الأمر أن يتمكن المبدع من خلق قناة تواصل بينه وبين متلقيه مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ عمليّة التّواصل هذه تحيط بها حيثيات وظروف تؤثّر فيها بشكل أو بآخر، ولأجل ذلك يجد المبدع/المتكلّم نفسه مجبرا على الإلمام التّام بكلّ هذه الأمور والّتي في حقيقتها جزئيات مشكلّة للمقام.

أ- مطابقة الكلام لمقتضى الحال:

إنّ مطابقة الكلام لمقتضى الحال دليل على مدى عناية النّقاد والبلاغيين العرب بمستقبلي النّصوص، ف"الوصف الدّلالي – البراجماتي يفسّر مقبوليّة المنطوقات اللّغويّة أو عدم مقبوليتها. وبتعبير آخر مناسبتها بالنّظر إلى السّياق التّواصلي الّذي تُنجز فيه"[3]، فحتّى يتّم إيصال المعنى إلى ذهن القارئ/السّامع وجب على المبدع مراعاة مستويات فهم واستيعاب السّامعين، معنى ذلك أن ينزّل المتكلّم خطابه وفق منازل المخاطبين وهذا واضح وجليّ عند رائد النّقد التّأسيسي فيما أورده عن بشر بن المعتمر قوله: "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً ، ولكل حالة من ذلك مقاما، حتّى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني

[1] - ينظر: العربي قلايلية، أهميّة البلاغة والتّواصل في العاميّة التّعليمية، مقال، ص11.

[2] - ينظر: تمام حسّان، اللّغة العربيّة معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط04، 2003، ص372.

[3] - سعيد حسن البحيري، اتجاهات لغويّة معاصرة في تحليل النّص، مجلّة علامات، ج38، م10، ديسمبر2000، ص185.

على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"[1]، قدّم لنا "الجاحظ" شبكة علائقيّة لحملة من العناصر الأساسيّة المشاركة في إنتاج النّص وهي: المعاني، المستمعين، الحالات، المقامات.

أ- لكل مقام مقال:

جُعلت مقولة "لكلّ مقام مقال" عند العرب الدّافع إلى اختراع فنون القول، فإنّ لاختراع الشّعر عندهم مقام، وسبب ذلك أنّهم لما كان كلّ كلامهم منثور "احتاجوا إلى الغناء بمكارم أخلاقهم، وطيب أعراقهم، وذكر أيّامهم الصّالحة، وأوطانهم النّازحة، وفرسانهم الأمجاد، وسُمحاتهم الأجواد، ليهزّوا أنفسهم إلى الكرم، ويدلّوا أبناءهم على حسن الشّيم فتوهّموا أعاريض جعلوها موازين الكلام، فلمّا تمّ لهم وزنه سمّوه شعرا"[2]، فالنّص وليد بيئته، ولا يمكن لنا أن نحدّد نوعه أو معناه إلّا "من خلال استخدامه في موقف ما أي المحيط الثّقافي والاجتماعي والحضاري بالإضافة إلى المحيط اللّغوي للعلامات الّذي يتحدّد في السّياق"[3].

في حين نجد أنّ "ابن المدبّر" من الأوائل الّذين فصّلوا في طبقات المخاطبين وجعلوا لكلّ طبقة وجه من الخطاب خاص بها، فيقول:" ولكلّ طبقة من هذه الطّبقات معان ومذاهب يجب عليك أن تراعيها في مراسلتك إليهم في كتبك، وتزن كلامك في مخاطبتهم بميزانه، وتعطيه قسمه، وتوفّيه نصيبه، فإنّك متى أضعت ذلك لم آمن بك أن تعدل بهم غير طريقهم، وتسلك بهم غير مسلكهم، وتُجري شِعاع بلاغتك في غير مجراه، وتنظم جوهر كلامك في غير سلكه، فلا تعتدّ بالمعنى الجزل ما لم تلبسه لفظا جزلا لائقا بمن كاتبته، ومشابها لمن رسالته. فإنّ إلباسك

[1]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج01،، ص138-139.

[2] - ابن رشيق القيرواني، العمدة، ج01، ص20.

[3] - سعيد حسن البحيري، اتجاهات لغويّة معاصرة في تحليل النّص، ص179.

المعنى، وإن شرف وصلح، لفظا مختلفا عن قدر المكتوب إليه، لم تجر به عادتهم تهجين للمعنى، وإخلال بقدره، وظُلم لحق المكتوب إليه، ونقص ممّا يجب له"[1]، معنى ذلك أنّ رعاية المقام وإنزال القول على أقدار المُخاطبين جدير بإنعام النّظر ورعايّته، فبسلامة هذه المقوّمات وصحّة تناسقها يكزن ميزان القول معتدلا يأخذ مجراه بسلاسة إلى ذهن السّامع ثمّ التّأثير فيه.

فإذا وقع القول موقع قدر السّامع كان بلاغيا حسن القبول فـ" لكلّ مكتوب إليه قدر ووزن ينبغي للكاتب ألّا يتجاوز به عنه، ولا يقصّر به دونه، وقد رأيتهم عابوا الأحوص حين خاطب الملوك بمخاطبة العامّة في قوله:

*وَأَرَاكَ تَفْعَلُ مَا تَقُولُ وَبَعْضُهُم ***** مَذِقُ الحَدِيثِ يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ*

فهذا معنى صحيح في المدح، ولكنّهم أجلّوا أقدار الملوك أن يُمدحوا بما يمدح به العوام، لأنّ صدق الحديث وإنجاز الوعد، وإن كان مدحا فهو واجب على كلّ، والملوك لا يمدحون بالفروض والواجبات، وإنّما يحسن مدحهم بالنّوافل"[2].

محصّلة القول، أنّ العرب القدامى قد جعلوا من فكرة "لكلّ مقام مقال" و" مطابقة الكلام لمقتضى الحال" دعامتين أساسيتين في إنتاج النّصوص الأدبيّة وتحليلها لإدراك المعنى المراد من وراء القول، "فإذا كان المحدثون يربطون بين النّص أو الخطاب وبين سياقه الخارجي من أجل التّوصل إلى فهم أفضل للمعنى، وأمّا النّقاد والبلاغيون العرب القدامى فإنّهم ينظرون

[1] - ابن المدبّر، الرّسالة العذراء، المصدر السابق، ص11 -12.

[2] - المصدر نفسه، ص15.

في المقال، فإن كان مطابقا للمقام أو الحال مع فصاحته، فعندئذ يحكمون عليه بالبلاغة"[1]، وأكبر دليل على ذلك ما أوردوه في كتبهم لتعريف علم البديع على أنّه علم يعنى بوجوه تحسين الكلام ومطابقتها لمقتضى الحال.

[1] - عبد الخالق فرحان شاهين، أصول معايير النّصيّة، رسالة ماجستير، إشراف: عقيل عبد الزّهرة مبدر، جامعة الكوفة، العراق، 2012، ص174.

المحاضرة الثّالثة عشر:

التّداوليّة وتحليل الخطاب

-نص تطبيقي-

1- الخطاب:

إنّ تحريرها كلّها... بدأ

لا تعجب من قولي ...واصبر علي، إنّ تحريرها كلها...بدأ.

في حرب عام 2021 قلت إنّ تحريرها كلّها ممكن، وممكن في هذا الجيل بمواجهة شاملة بين الكتلتين الديمغرافيتين في فلسطين التّاريخيّة، وإنّ اشتباكا عامًا في غزّة والضّفة الغربيّة والقدس والأرض الّتي احتلت عام 48 بين أهل البلد وغزاتهم كفيلٌ بأن يضغط على نظام الفصل العنصري الإسرائيلي حتّى يسقط، فلا تعود إسرائيل إسرائيل بعد، وإنّ البلد لن يكون قابلا لأن يحكم وأكثر من نصف البشر القاطنين فيه يعصون حكامه، وأقول اليوم: إنّ ما نشهده أمامنا بداية ذلك الاشتباك العام، وإنّ كلّ الاحتمالات مفتوحة في الحروب، ولكنّ الأرجح أنّ إسرائيل من حيث تريد تغيير حكم المقاومة في غزّة ستنتهي عاجلًا أم آجلا بتغيير نظام الحكم في تل أبيب.

إنّ إسرائيل الدّولة المولودة أصلا بعقدة خوف مردّها قلّة العدد مقارنة بمحيطها العربي، تفاقمت أزمتها في السّنوات الأخيرة لازدياد عدد العرب في فلسطين التّاريخيّة ذاتها على عدد الإسرائيليين اليهود ولنشوء جبهة مقاومة لإسرائيل على حدودها الشّماليّة ممتدّة من بحر قزوين حتّى البحر الأبيض المتوسط. ولمّا يزل بين قادة إسرائيل من يدعو لحلّ عقدة الخوف

هذه بشنّ حرب إبادة وتهجير على الفلسطينيين وشنّ حرب ردع على حلفاء المقاومة في الإقليم، وهو خيار كان قادة إسرائيل الأسنّ والأخبر يتجنّبونه لعلمهم أنّه إن فشل ففيه نهاية المشروع الصّهيوني برمته. فلمّا شنّت المقاومة هجومها الكبير يوم السّابع من تشرين الأوّل/أكتوبر عام 2023 أخذ العدوّ العُصاب فشنّ هذه الحرب في توقيت اختاره خصومه وراح يقع في الخطأ بعد الخطأ، فإذا لم يخذل بعضنا بعضا فإنّنا قادرون على كسره، وإذا انكسر في هذه فلا جبر له بعدها.

أيها النّاس، إنّ العدو يستهدف غزّة بكلّ هذا العنف تحديدا لأنّها الأقوى، فأهلها اليوم أفضل الفلسطينيين تسليحا وتدريبا وخبرة في القتال لذلك فَهُم الأقدر على حماية أهل الضّفة والقدس والدّاخل، فالعدو يريد القضاء على المسلّح ليلتفت بعده إلى الأعزل وشبه الأعزل، وهو بذلك يبدأ المواجهة الشّاملة والاشتباك العام بين الكتلتين الديمغرافيتين في فلسطين كلّها آملا في نكبة جديدة، ولن يفلح العدو في هذا الاشتباك العام إلّا إذا لم يصبح اشتباكا عاما وخذل بعضنا بعضا فتركناه يقتلنا واحدا بعد الآخر وكلّ ينتظر دوره.

أقول: ليس لنا بدٌّ من أن نقاوم العدو جميعا وفي الوقت ذاته، بدلا من أن يقتلنا تباعا، لست هنا لأدعو النّاس للخطر وأنا آمن، بل لأحذّر من خطر متنكّر في صورة الأمان. إنّ المواجهة اليوم أفضل وسيلة للنّجاة، ومن خاف أو أجلّ اليوم فلن يؤجله العدو غدًا، فإذا قاومناهم جميعا فإنّنا منصورون. فقد استدعوا جيشهم كله: القوات العاملة والقوات الاحتياطيّة، ولخوفهم البنيوي فإنّ الجيش يشكل نسبة كبيرة من المجتمع عندهم ومن قوة العمل فيه، فإن حاربوا شُلّ اقتصادهم، وكلفة الحرب السّياسيّة عندهم أعلى من كلفتها السّياسيّة عندنا. شعبنا لا ينفضّ عن الفدائيين إذا تألّم، أمّا ناخبوهم فينفضون عن

العلمي للكلية

حكومتهم إذا لم تأتهم بنصرٍ سريع رخيص الثّمن. وقد أعلن العدو لهذه الحرب أهدافا يستحيل معها النّصر السّريع الرّخيص ذاك، فإعادة احتلال مدينة كثيفة السّكان منتشرة السّلاح ليس عندها ما تخسره ليس بالأمر الهيّن على القوى العظمى فما بالك بإسرائيل؟

والمعروف في الحروب بين جيش نظامي وفدائيين؛ أنّ الجيش النّظامي إذا لم يحسم الحرب فقد خسر، أمّا الفدائيون فنصرهم أن يمنعوا الجيش النّظامي من حسمها، فكلّ يوم يعجز العدو فيه عن حسم المعركة لصالحه يرفع من كلفة الحرب السّياسيّة ويقرّبه من هزيمته، والعدو يعوّض عن عجزه هذا باستهداف المدنيين، لكنّ استهدافهم لا يضعف القدرات العسكريّة للمقاومين بل يزيدهم غضبا لدماء ذويهم، ومن حيث يريد العدو لهذا القصف على المدنيين أن يردع أهلنا في الجبهة الشّماليّة والشّرقيّة عن التّدخل في الحرب، فإنّ القصف على العكس من مراد العدو يزيد من احتمال تدخلّهم فيها، لأنّهم يرون أنّ ما يجري على غزّة اليوم هو ما يمكن أن يجري عليهم غدًا إذا تركت المقاومة وحدها، فمن حيث أراد العدو الرّدع أصبح أشدّ محرّضٍ على نفسه، وها أنت ترى الضّفة ولبنان تتصاعد فيهما عمليّات المقاومة. فإذا تعدّدت الجبهات اضطرّ العدو كلّما أراد أن يعزّز جبهة أن يضعف أخرى، فيعجز عن حسم الحرب في أيّ منها.

هذا ولا حرب تحسم من الجو، فإن لم ينزل العدوّ إلى الأرض فإنّه لن يحقّق أيّا من أهدافه المعلنة، وإن نزل فسيتوقف القصف الجويّ لاشتباك الجمعين ثمّ ستأكله الأرض أكلاً، فحتّى البناية المهدومة متراس، والشّجرة المقطوعة متراس، ويبدو أنّ ما جاء في الأثر من أن الحجر والشّجر يقاتلان أكثر واقعيّة ممّا يظنّ معظم النّاس. الأرض تقاتل الغزاة مع أهلها وهذا ينطبق على العدوّ وعلى حلفائه المحتشدين في البحر، وهذا ما جرى في كل حرب مثل

هذه: في الجزائر، وفي العراق، وفي أفغانستان، وفي فيتنام وعدّدوا ما شئتم. وإنّ المتجمعين في مطار "بن غوريون" يشبهون المتعلّقون بأذيال المروحيات في سايغون وكابل.

يا أهل غزّة، يخجل المرء أن يخاطبكم، وإن كان من أصحاب جلالة بين البشر فأنتم، لقد حقّقتم إنجازا سيّدرس على مرّ الأجيال في الكلّيات العسكريّة، وأربكتم عدوكم حتّى فقد أعصابه وراح يهدّد بالإبادة والتّهجير والقادر على شيء لا يهدّد به إنّما يهدّد العاجز، وإنّ العدوّ إذ يطلب منكم الرّحيل لتأمنوا يكذب، سلوا أهلنا ممّن تهجروا قبل خمسة وسبعين عاما هل أمنوا؟ هل أمنوا في صبرا وشاتيلا؟ هل أمنوا في تل الزّعتر؟ بل هل أمنوا في جنين؟ أليست غزّة نفسها ملأى بمخيّمات تقصف اليوم، سكانها أبناء من تهجروا في النّكبة؟ هذا والقرار قراركم وأنتم أبطال مهما قررتم. لكنّ العدوّ يطلب أمان نفسه لا أماننا ويدعو إلى التّهجير لا لأنّه خائف على المدنيين بل لأنه خائف منهم. ومن ذا يسمع نصيحة عدوّه في الحروب؟ .

يا أهل غزّة، يا أصحاب الجلالة والسّمو لقد استهدف مقاوموكم جنود العدو بينما استهدف العدوّ أطفالكم ويعرف هذا الألم كل من فقد حبيبا، لكن هذا الألم مهما فعل بنا فإنّه لا يدفعنا لمسامحة عدوّنا في دماء من نحب، هي ثارات آبائنا وأبنائنا ونحن أمّة لا تسامح في ثاراتها. نعم غالٍ هو الثّمن لكنّه ثمن تحرير فلسطين كلّها لا أقل. ليس ثمن رفع الحصار أو وساطة من هنا أو هناك، ليس ثمن ميناء أو مطار، ولا ثمن استقلال اسمي منقوص قليل الخير كثير الألقاب مضحك مبكٍ كالّذي ترونه من حولكم. هذا ثمن فلسطين كلّها من البحر إلى النّهر. هذا ثمن سقوط تلّ أبيب مبناها ومعناها، وثمن تحرير القدس مبناها ومعناها في هذه الجولة أو فيما بعدها من جولات.

يا أهلنا في الضّفة، الشّوارع شوارعكم والبلاد بلادكم والمستوطنات دونكم، ويا منتسبي أجهزة الأمن في سلطة رام الله يا ستين ألف مسلّح بقي سلاحهم ساكتا يوما بعد يوم والأطفال يقصفون في سرائرهم هذا التّاريخ يكتب فاختاروا مكانكم منه، وانظروا في عيون أمهاتكم وأطفالكم واسألوا أنفسكم هل تطيعون الأوامر وتقفون على الحياد وشعبكم يباد وتحمون الاحتلال من شعبكم؟ أم تحمون شعبكم من الاحتلال وتعيدون لسلاحكم شرفه؟ هل تنتظرون دوركم في الإبادة والتّهجير؟ أم تدفعون عن أهلكم بما ملكت أيديكم؟ واعلم يا حضرة الضّابط أنّ هذه الحرب إذ تشتدّ فإنّ كلّ فلسطيني يعاون العدو أو يحول دونه سيكون هو العدو، وسيجري عليه ما يجري على العدو من أحكام.

يا أهلنا في الدّاخل، في كلّ فلسطين الّتي احتلت عام 48، نعرف سعار الحكومة وسعار المتطرّفين وأنتم أدرى بحالكم، ولكن ليس خيرا للمرء أن يواجههم في الشّوارع اليوم بدلا من أن يواجهوكم في بيوتكم غدا؟ ليسوا غافلين عنكم ولا آمنين إيّاكم ولا محبين لكم، بل هم يبيّتونكم إنّ من سمّى شعبكم حيوانات بشريّة وقطع الماء والغذاء عن مليوني إنسان نصفهم من الأطفال في غزّة لا أمان معه ما بقي ولا بقاء معه ما أمن.

يا أهلنا في القدس، هذه الحرب على اسم المسجد الأقصى، وإن لم يعد للمسجد الأقصى من يحميه فأنتم أدرى ما نوايا العدو فيه المسجد أمانة في أيديكم.

يا أهلنا وحلفاءنا وسندنا في الشّمال ويا أهلنا في برّ الشّام الكبير ويا حلفاء المقاومة في الإقليم إذا حاربنا العدو معا خير لنا من أن نحاربه فرادى، وإن لم يكن الآن فمتى؟

يا أهلنا في مصر، يا عمود الخيمة وحماة الأمّة منذ القدم، هذه الحرب على حدودكم أنتم فانظروا ما مكانكم منها وأي طرف تنفعون، وها هي إسرائيل تبني طريقا برّيّا يلغي قناة

السّويس وتتحالف مع إثيوبيا في بناء سدّ يلغي النّيل، فماذا يبقى من مصر بعد هذين؟ هذا والحكومة المصريّة في حال سلم مع إسرائيل كأنّه حلف، وإنّ الحصار البرّي عمل من أعمال الحرب فإحكام الحكومة المصريّة للحصار على غزّة مشاركة لإسرائيل جنبا إلى جنب في حربها علينا وهي ترتكب جريمة الإبادة العرقيّة وجريمة العقاب الجماعي وجريمة القتل العشوائي للنّاس وقد قطعت إسرائيل الماء والكهرباء والغذاء والدّواء عن أهل غزّة ولا منفذ لهم إلّا مصر فإن أغلقت الحكومة هذا المنفذ أمام المدد فأنتم تعلمون من سيواجه الله والتّاريخ بدمائنا. ويا جيش مصر هل ثمّ من عمل أهم من الدّفاع عن النّيل وقناة السّويس وسيناء؟ ومن يطلب من مدنيين تقصفهم الطّائرات الصّمود فليوفر لهم أسبابه لا سيما وأسبابه عنده، ثمّ من عدوّك؟ قوة نوويّة احتلت سيناء مرتين تحاربك في رزقك من المال والماء حتّى وأنت تسالمها، أم فدائيون يسعون لتحرير شعبهم وبلادهم سلاحهم معترض بين إسرائيل وسيناء، دمهم دمك وقوتهم قوتك وخيرهم لك وضررهم على عداك.

يا حكام العرب، إسرائيل تريدها نكبة جديدة فاستعينوا بمُحَضِّر أرواح إن شئتم واسألوا من كانوا حكاما وتواطؤوا على ضياع فلسطين أيّام النّكبة الأولى عن مصائرهم ومصائر أُسَرِهم الحاكمة.

يا أمتنا، والله سنكفيكم عدوّنا وعدوّكم ولكن اكفونا حكامكم المتحالفين معه والله من وراء القصد. سيقولون لك: مالك تقول ما تقول وأنت آمن؟ قل لهم: أتمزحون؟ متى كان مثلي ومثلكم آمنا في بلادنا وإسرائيل إسرائيل وحكامنا حكامنا؟ وإنّ الأمن لفي كنف السّلاح فانظروا من يمنعه عنّا وعنكم.

إنّ نظام الفصل العنصري في إسرائيل بعد 75 سنة من النّكبة يجد نفسه في حاجة إلى نكبة جديدة، وهذا في حدّ ذاته دليل على فشل النّكبة الأولى، على فشل المشروع الصّهيونيّ كلّه، وهذه الحرب سواء كانت جولة واحدة أو جولات كثيرة هي آخر حروب هذا الكيان ينتهي أو ننتهي. ونحن منصورون إن لم يخذل بعضنا بعضا في كلّ فلسطين التّاريخيّة وفي الإقليم، وإن خذل بعضنا بعضا طمعا في النّجاة، فإنّ النّجاة تهرب من الطّامع فيها، والموت يهرب ممن يقبلون عليه.

قلت حين بدأت هذه الحروب : نفسي الفداء لكلّ منتصر حزين. نعم، نحن نحزن على أحبابنا، لكنّنا إذا سامحنا في ثاراتهم نقتلهم مرتين. الحزن سلاح في يدنا نحن لا في يد العدوّ، نحزن ونقاتل ويقتلوننا ثمّ يفزعون، وهذا الكلام يصحّ في كلّ جولات القتال قبل هذه وفيها وبعدها حتّى يعانق بعضنا بعضا في ساحة المسجد الأقصى طالت الحرب أو قصرت.

وإنّ تحريرها كلّها ممكن. وإنّ تحريرها كلّها قد بدأ. توكلنا على الله، والله أكبر.

تميم البرغوثي

2- الأساليب الإقناعيّة/الحجاجيّة في الخطاب:

أ- الأساليب اللّغويّة:

1-الروابط الحجاجيّة: وهي الّتي تلعب دورا مهما في الانسجام والاتّساق الشّامل للخطاب، وهذا من ناحيّة أنّها تسمح بتدرّج وتسلسل القضايا، فهي إذن تكتسي بعدا نصّيّا وتتمثل في بعض العناصر النّحويّة مثل أدوات الاستئناف " الواو، الفاء، لكن، إذن، قد،..[1]

[1] - عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النّظريّة التّداوليّة، دار الأمل، الجزائر، ط2، 2013، ص99.

ومن بين هذه الرّوابط الحجاجيّة الّتي وظّفها "تميم البرغوثي" في خطابه هذا نجد:

- **الواو**: وهو أكثر الحروف حضورا في الخطاب، إذ استدعته ضرورة الربط بين المتشاركين في الحكم:" وهذا ما جرى في كل حرب مثل هذه: في الجزائر، وفي العراق، وفي أفغانستان، وفي فيتنام وعدّدوا ما شئتم".
- **إنّ وأنّ**: "في حرب عام 2021 قلت إنّ تحريرها كلّها ممكن".= وقد استعملها الخطيب بكثرة في خطابه وغايته في ذلك التّأكيد والّذي وقع على ضربين: فالأوّل منهما هو تأكيد ما كان يقوله في خطابات سياسية له سبقت هذا الخطاب كقوله السّابق ذكره. والثّاني: هو تأكيد لحقائق ووقائع كانت من الافتراضات وصارت حقيقة واقعيّة مثل قوله:" إنّ إسرائيل الدّولة المولودة أصلا بعقدة خوف مردّها قلّة العدد مقارنة بمحيطها العربي".
- **الفاء**: وكنموذج نذكر قوله:" يتجنّبونه لعلمهم أنّه إن فشل ففيه نهاية المشروع الصّهيوني برمته. فلمّا شنّت المقاومة هجومها الكبير يوم السّابع من تشرين الأوّل/أكتوبر عام 2023 أخذ العدوّ العُصاب فشنّ هذه الحرب في توقيت اختاره خصومه وراح يقع في الخطأ بعد الخطأ، فإذا لم يخذل بعضنا بعضا فإنّنا قادرون على كسره، وإذا انكسر في هذه فلا جبر له بعدها". وجاءت الفاء في غالبيتها في الخطاب سببيّة.
- **حتّى**: في قوله:" وأربكتم عدوكم حتّى فقد أعصابه وراح يهدّد بالإبادة والتّهجير والقادر على شيء لا يهدّد به إنّما يهدّد العاجز"، وتفيد حتّى هاهنا انتهاء الغاية.
- **لكن**: في قوله:" لكنّ العدوّ يطلب أمان نفسه لا أماننا"، فلكن وظيفتها الاستدراك في الحكم.

ومن بين هذه الرّوابط الحجاجيّة الّتي وظّفها "تميم البرغوثي" في خطابه هذا نجد:

- **الواو**: وهو أكثر الحروف حضورا في الخطاب، إذ استدعته ضرورة الربط بين المتشاركين في الحكم:" وهذا ما جرى في كل حرب مثل هذه: في الجزائر، وفي العراق، وفي أفغانستان، وفي فيتنام وعدّدوا ما شئتم".
- **إنّ وأنّ**: "في حرب عام 2021 قلت إنّ تحريرها كلّها ممكن".= وقد استعملها الخطيب بكثرة في خطابه وغايته في ذلك التّأكيد والّذي وقع على ضربين: فالأوّل منهما هو تأكيد ما كان يقوله في خطابات سياسية له سبقت هذا الخطاب كقوله السّابق ذكره. والثّاني: هو تأكيد لحقائق ووقائع كانت من الافتراضات وصارت حقيقة واقعيّة مثل قوله:" إنّ إسرائيل الدّولة المولودة أصلا بعقدة خوف مردّها قلّة العدد مقارنة بمحيطها العربي".
- **الفاء**: وكنموذج نذكر قوله:" يتجنّبونه لعلمهم أنّه إن فشل ففيه نهاية المشروع الصّهيوني برمته. فلمّا شنّت المقاومة هجومها الكبير يوم السّابع من تشرين الأوّل/أكتوبر عام 2023 أخذ العدوّ العُصاب فشنّ هذه الحرب في توقيت اختاره خصومه وراح يقع في الخطأ بعد الخطأ، فإذا لم يخذل بعضنا بعضا فإنّنا قادرون على كسره، وإذا انكسر في هذه فلا جبر له بعدها". وجاءت الفاء في غالبيتها في الخطاب سببيّة.
- **حتّى**: في قوله:" وأربكتم عدوكم حتّى فقد أعصابه وراح يهدّد بالإبادة والتّهجير والقادر على شيء لا يهدّد به إنّما يهدّد العاجز"، وتفيد حتّى هاهنا انتهاء الغاية.
- **لكن**: في قوله:" لكنّ العدوّ يطلب أمان نفسه لا أماننا"، فلكن وظيفتها الاستدراك في الحكم.
- **قد**: كقوله:" لقد حقّقتم إنجازا سيّدرس على مرّ الأجيال في الكلّيات العسكريّة"، وتفيد تحقيق الحكم وتقريره.

2- **العوامل الحجاجيّة:** وهي الّتي تضمن البعد التّلفظي لبعض الرّوابط عن طريق ضمانها تحقيق التّجانس التّداولي للجملة أو للقول، وتتمثل فيما يكون داخل القول الواحد من عناصر تدخل على الإسناد مثل الحصر والنفي والظروف[1]، ومن أمثلتها في الخطاب الّذي بين أيدينا:

- **الظّرفيّة: حيث:** في قوله:"ومن حيث يريد العدو لهذا القصف على المدنيين أن يردع أهلنا ...، فمن حيث أراد العدو الرّدع أصبح أشدّ محرّضٍ على نفسه".
- **النّفي**: "ولن يفلح العدو في هذا الاشتباك العام إلّا إذا لم يصبح اشتباكا عاما" وإنّا نلحظ أنّ أداة النّفي الغالبة هي لا كقوله:" لكن هذا الألم مهما فعل بنا فإنّه لا يدفعنا لمسامحة عدوّنا".
- **الحصر**: "ولن يفلح العدو في هذا الاشتباك العام إلّا إذا لم يصبح اشتباكا عاما".

هذا وإنّ الممحّص لخطاب تميم البرغوثي هذا يجد بأنّ الشّاعر الخطيب لم يركز على وظيفيّة الرّوابط الحجاجيّة اللّغويّة بقدر ما ركّز على غير اللّغويّة منها، ذلك أنّ المقام يستدعي أساليب إقناعيّة فوق لغويّة وهو ما سنحاول الوقوف عليه فيما سيأتي.

[1]- عمر بلخير، المرجع السابق، ص99.

المحاضرة الرّابعة عشر:

التّداوليّة وتحليل الخطاب

-نص تطبيقي-

بالموازاة مع أدوات الرّبط المنطقيّة يعتمد التّحليل التّداولي على أساليب لغويّة أخرى، قد لا تكون ذات أهميّة بالنّسبة للأبحاث اللّغويّة، ولكّنها تعتبر لبّ البحث التّداولي، وهي الأساليب التّعبيريّة الإنشائيّة، ونرصدها في الخطاب قيد الدّراسة فيما يلي:

- **الأساليب الإنشائيّة: الاستفهام**: والاستفهام الّذي وظّفه الخطيب ها هنا استفهام غير حقيقي قصد به النّصح والتّوعيّة: وإنّ العدوّ إذ يطلب منكم الرّحيل لتأمنوا يكذب، سلوا أهلنا ممّن هجروا قبل خمسة وسبعين عاما هل أمنوا؟ هل أمنوا في صبرا وشاتيلا؟ هل أمنوا في تل الزّعتر؟ بل هل أمنوا في جنين؟ أليست غزّة نفسها ملأى بمخيّمات تقصف اليوم، سكانها أبناء من تهجروا في النّكبة؟

ب- الأساليب غير لغويّة:

- **ما تعلّق بالنّص:**

إذا كانت اللّغة وفقا للتصور التّداولي الجديد هي نظام تتحوّل به الأقوال في الواقع إلى أفعال، فأنّ ذلك يحيلنا إلى القول بأنّ ظاهرة الحجاج لا تعتمد على البنى اللّغويّة فقط، وإنّما يتعدّاه ليعمّم "على كلّ ما يصدر عن الإنسان من سلوك ومعرفة، وصار الحجاج انطلاقا من ذلك ممارسة يوميّة مؤكدة"[1].

[1]- عمر بلخير، المرجع السّابق، ص75.

من ثمّ نجد أنفسنا نتجه بالبحث عن مقدّمات الخطاب عند تميم البرغوثي، والّتي تشكّل مسلّمات يقبل بها الجمهور، وعليه تكون طرق صياغة وترتيب هذه المقدّمات في ذاتها قيمة حجاجيّة[1]، يمكن لنا أن نقف على جملة منها في المدونة قيد الدّراسة:

1- **الوقائع:** وهي ما يشترك فيه مجموعة من النّاس. والوقائع لا تكون قابلة للدّحض أو الشّك وهذا ما يجعلها قاعدة انطلاق في الحجاج، ومن جملة الوقائع الّتي اعتمدها البرغوثي في خطابه:

- لقد بدأ الخطيب تميم البرغوثي خطابه وبعد جملته التّقديميّة بقوله:" في حرب عام 2021 قلت إنّ تحريرها كلّها ممكن"، فالعبارة الأولى في حرب عام 2021م = هي مقدّمة حجيّة استُمدّت من الواقع والجميع يعرف تواريخ الحروب الّتي شنّها الاحتلال الصّهيوني على غزة.
- وأيضا عبارة" وممكن في هذا الجيل بمواجهة شاملة بين الكتلتين الديمغرافيتين في فلسطين التّاريخيّة"، فالجيل جيل مقاومة قد تشرّب بالرّوح الوطنيّة وتجرّع ويلات الاحتلال.
- " فلمّا شنّت المقاومة هجومها الكبير يوم السّابع من تشرين الأوّل/أكتوبر عام 2023 أخذ العدوّ العُصاب فشنّ هذه الحرب في توقيت اختاره خصومه وراح يقع في الخطأ بعد الخطأ".

2- **الحقائق:** وهي أنظمة أكثر تعقيدا من الوقائع، حيث تعمل على الربط بين هذه الأخيرة، ومدارها نظريات علميّة أو مفاهيم فلسفيّة أو دينيّة...، ومن بينها في النّص المنوط بالدّراسة قوله:

[1]- ينظر: عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته، ص299.

- "وإنّ البلد لن يكون قابلا لأن يحكم وأكثر من نصف البشر القاطنين فيه يعصون حكامه"، فهي من المسلمات والمفاهيم التّاريخيّة السّياسيّة القارّة في تاريخ الأمم، فلا قيّام لدولة خرج مَحْكُموها عن حكّامِها.
- "إنّ إسرائيل الدّولة المولودة أصلا بعقدة خوف مردّها قلّة العدد مقارنة بمحيطها العربي، تفاقمت أزمتها في السّنوات الأخيرة لازدياد عدد العرب في فلسطين التّاريخيّة ذاتها على عدد الإسرائليين اليهود ولنشوء جبهة مقاومة لإسرائيل على حدودها الشّماليّة ممتدّة من بحر قزوين حتّى البحر الأبيض المتوسط".
- " وإن نزل فسيتوقف القصف الجويّ لاشتباك الجمعين ثمّ ستأكله الأرض أكلاً، فحتّى البناية المهدومة متراس، والشّجرة المقطوعة متراس، ويبدو أنّ ما جاء في الأثر من أن الحجر والشّجر يقاتلان أكثر واقعيّة ممّا يظنّ معظم النّاس. الأرض تقاتل الغزاة مع أهلها وهذا ينطبق على العدوّ وعلى حلفائه المحتشدين في البحر".
- "الأرض تقاتل الغزاة مع أهلها وهذا ينطبق على العدوّ وعلى حلفائه المحتشدين في البحر، وهذا ما جرى في كل حرب مثل هذه: في الجزائر، وفي العراق، وفي أفغانستان، وفي فيتنام وعدّدوا ما شئتم. وإنّ المتجمعين في مطار "بن غوريون" يشبهون المتعلّقون بأذيال المروحيات في سايغون وكابل".

3- الافتراضات: شأنها شأن الوقائع والحقائق، فهي تحمل في طيّاتها موافقة الجماعة، إلّا أنّ الإذعان لها والتّسليم بها لا يكونان قويين، حتّى تأتي في مسار الحجاج عناصر أخرى تقويهما، كما أنّها تخضع لقانون التّغيير، ومن أمثلتها في النّص:

- " ولكنّ الأرجح أنّ إسرائيل من حيث تريد تغيير حكم المقاومة في غزّة ستنتهي عاجلًا أم آجلا بتغيير نظام الحكم في تل أبيب". وهو افتراض بنهاية قيام الدولة الصّهيونيّة وهو افتراض يتوقعه غالبيّة النّاس حتّى الإسرائيليين أنفسهم وذلك قبل الاحتفال بذكرى التّأسيس 80.
- " ولن يفلح العدو في هذا الاشتباك العام إلّا إذا لم يصبح اشتباكا عاما وخذل بعضنا بعضا فتركناه يقتلنا واحدا بعد الآخر وكلّ ينتظر دوره".

4- **القيم:** إنّ القيم بالنّسبة إلى مجالات القانون والسّياسة والفلسفة غذاء أساسي، فهي الّتي يعوّل عليها في جعل السّامع يذعن لما يطرح عليه من آراء، وهي نوعان: مجرّدة ومحسوسة، وقد تجسّدت في خطاب تميم البرغوثي بوجهيها:

- **القيم المجردة:** وقد تجسّدت في الخطاب باستخدام مصطلحات كـ: الحكم، الاحتلال، العنف، القتل، الأمان، الحرب...
- القيم المحسوسة: ومن أمثلتها: الدولتين، إسرائيل، فلسطين التّاريخيّة، غزّة، الضّفة الغربيّة، مصر، الجزائر...

5- السّلميّات: إنّ سلميّة القيم في البنيّة الحجاجيّة أهم من القيم نفسها فالقيم وإن كانت تسلم بها جماهير عدّة من المستمعين، فإنّ درجة التّسليم بها تكون مختلفة من جمهور إلى آخر، فالجميل درجات وكذلك النّافع، وهي نوعان:

- **المجرّدة:** "لقد استهدف مقاوموكم جنود العدو بينما استهدف العدوّ أطفالكم ويعرف هذا الألم كل من فقد حبيبا، لكن هذا الألم مهما فعل بنا فإنّه لا يدفعنا لمسامحة عدوّنا في دماء من نحب، هي ثارات آبائنا وأبنائنا ونحن أمّة لا تسامح في ثاراتها. نعم غالٍ هو الثّمن

لكنّه ثمن تحرير فلسطين كلّها لا أقل"، فتحرير فلسطين أعلى درجة من السّعي وراء حفظ النّفس".

- **ما تعلّق بما هو خارج النّص:**

يقول ابن منظور:" والمخاطبة مفاعلة من الخطاب والمشاورة"[1]، وفي ذلك حمل على أنّ الخطاب وليد الحدث، فالمفاعلة تقتضي المشاركة فـ" الخطابة باعتبارها مشاركة في فعل ذي شأن مخاطبة في خطب إذ المفاعلة تفيد الاشتراك"[2].

والخطاب الّذي اخترناه لأجل التّحليل إنّما هو فعل تشاركي ناتج عن تفاعل الشّخصيّة /المُخاطِب مع قضايا أبناء شعبه، فالقضيّة سياسيّة تمسّ واقع الشّعب الفلسطيني وبالتّحديد سكّان قطاع غزّة، واقع مخالف تماما عن واقع باقي الشّعوب، واقع مليء بالقهر وانعدام الحريات واغتيال الأحلام والأمان، والّذي حلّ محلّها رؤية الأشلاء والدّماء وأصوات القنابل والمتفجرات.

يقول بيير بورديو:" ليس هناك أشخاص سياسيون بقدر ما هناك أشخاص يصنعون السّياسة (صانعو السّياسة)"[3] ، وهاهنا ننظر مدى مناسبة العنصر المكون للعمليّة التّواصليّة (الخطاب السيّاسي) مع القضيّة المُتحدّث عنها:

المُخاطِب والمتحدّث: شخصيّة متميّزة من المجتمع الفلسطيني، شاعر خطيب وسياسي يسعى دائما إلى التّواجد بجانب أبناء شعبه في كل الأوقات، فهو إمّا أن يقول قصيدة أو ينتج

[1]- ابن منظور، لسان العرب، مادة خ ط ب، دار صادر، بيروت، 1994.

[2]- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، ط1، دار الثقافة، الدار البضاء، 1986، ص14.

[3] -P. Bourdieu, La distinction, critique sociale de jugement, minuit, paris, 1979, p463.

خطابا خاصّة في حالة الحروب الّتي يعلنها الاحتلال على قطاع غزّة. وهو دائما ما يسعى إلى التّأثير في متلقّيه سواء كانوا فلسطينيين أو غير الفلسطنيين، ومن ثمّ حملهم على الاقتناع بما هو مقتنع به" وهو لهذا الغرض يستعمل جميع وسائل الإقناع المتاحة له، بحيث لا يكف عن محاولة الإقناع إلّا عندما يستنفذ جميع ما في متناوله من وسائل"[1]، والمتحدّث عندنا يعمد إلى استخدام أساليب مختلفة تتناسب والحالات الّتي يعيشها أهل غزّة والّتي هي مزيج بين الغضب والخوف والرحمة والانهزام النّفسي أحيانا. وها هو تميم البرغوثي يفتتح خطابه بقوله:" لا تعجب من قولي ...واصبر علي، إنّ تحريرها كلها...بدأ"، إنّ ما تحمله هذه العبارات من دلالة وتداوليّة لا تستقل عن فحوى الخطاب، فالمُخاطِب أراد التّوجه بكلامه لفئتين مختلفتين: فالفئة الأولى المقصودة بالخطاب هو الشّعب الفلسطيني عامّة وأهل غزّة بالتّحديد، أمّا الفئة الثّانيّة فهي الشّعوب العربيّة.

ومن خلال الخطاب محلّ الدّراسة، ومن خلال العبارتين:" في حرب عام 2021 قلت إنّ تحريرها كلّها ممكن، وممكن في هذا الجيل بمواجهة شاملة بين الكتلتين الديمغرافيتين في فلسطين التّاريخيّة"، نجد أنّ الجمل تحيل إلى علاقة بين الذّات وملفوظها، برجوع المخاطب إلى نفسه ليذكّر المتلقي بما قاله منذ عامين، لينتقل مباشرة للحديث عن حقائق خاصّة بالقضيّة الفلسطينيّة تاريخيا، والحرب على غزّة في الوقت الحاضر.

- **بنية الخطاب:**

عندما أنتج الشاعر "تميم البرغوثي" خطابه لم يكن يتمتع بالحريّة المطلقة في الكلام، فحريته التّعبيريّة ها هنا جاءت مقيّدة بحدّين:

[1]- محمد يعقوبي، أصول الخطاب الفلسفي، الجزائر، 1995، ص14.

- حدّ الجماعة الّتي وجه إليها الخطاب، إذ أنّ واجبه مراعاة حالات هذا المتلقي لأنّه متلقٍ غير عادي وظروفه ظروف غير عادية.
- حدّ العامل الزّمني: فالباث هنا مقيّد بالزّمن، فهو يريد أن يقول الكثير في وقت قليل.

وفقا لخاصيّة الخطاب السّياسي، فإنّ المخاطب هو الموجه الفعلي والأساسي للفعل الخطابي، فقد افتتح خطابه بعبارة:" " لا تعجب من قولي ...واصبر علي، إنّ تحريرها كلها...بدأ"، ليلفت انتباه المتلقي ويحمله على الإذعان والانقياد له، خاصة وبعد استخدامه للفعل القولي (لا تعجب، واصبر) والّذي ورد بصيغة الأمر، ثمّ يتجّه المخاطب إلى سرد العبارات التّذكيريّة فهي بمثابة العبارات الافتتاحيّة والّتي تحمل في طيّاتها متضمنات قول تؤكد صدق نبوءة المخاطب على أنّ الحرب حرب تحرير وأنّ تحريرها كلّها ممكن، وبذلك يقنع المتلقي بما قاله وما سيقوله.

بالإضافة إلى ذلك فإنّ المخاطب استعمل أفعالا إنجازيّة أو إنشائيّة من بينها: (الأمر، والاستفهام، النّهي...)، كقوله: لا تعجب، واصبر، لا يهدّد، لا يدفعنا، هل أمنوا في صبرا وشاتيلا؟...وغيرها من الأمثلة الكثيرة، ثمّ إنّ أغلب الأفعال الواردة جاءت على صيغة التّوجيه وهي ترتبط ببناء الخطاب قصد الإقناع، فمثلا بعد جملة الاستفهامات الّتي طرحها يعود ليجيب عنها باسم المتلقي:" ، وإنّ العدوّ إذ يطلب منكم الرّحيل لتأمنوا يكذب، سلوا أهلنا ممّن تهجروا قبل خمسة وسبعين عاما هل أمنوا؟ هل أمنوا في صبرا وشاتيلا؟ هل أمنوا في تل الزّعتر؟ بل هل أمنوا في جنين؟ أليست غزّة نفسها ملأى بمخيّمات تقصف اليوم، سكانها أبناء من تهجروا في النّكبة؟ هذا والقرار قراركم وأنتم أبطال مهما قررتم. لكنّ العدوّ يطلب

أمان نفسه لا أماننا ويدعو إلى التّهجبر لا لأنّه خائف على المدنيين بل لأنه خائف منهم. ومن ذا يسمع نصيحة عدوّه في الحروب؟"

لقد وظّف تميم البرغوثي في خطابه أساليب ومقاطع لغوية/كلاميّة تعبّر عن الحال الّذي يعيشه أهلنا في غزّة، كما أنّه يعبّر عن وضعية القضيّة الفلسطينيّة في ظلّ الواقع الرّاهن والمؤلم، ولذا نجده قد التزم في كلّ كلامه بمقاطع غير مسجوعة، فالمقام ليس مقام تكلّف، فما يعانيه الشّعب الفلسطيني أكبر من الاهتمام بالزّخرفة اللّفظيّة. فالمخاطب يخبر المتلقي ويحاول التّأثير فيه وإقناعه بأفكاره مستعينا بأساليب لغويّة بسيطة معبّرة، مستعينا بالنّفي تارة، وبالإثبات والتأكيد في تارات أخرى.

- **لغة الجسد:**

لقد أشار "بلومفيلد" في كتابه (اللغة) أنّ الإشارة تصاحب خطاباتنا كلها، وأنّها تختلف من مجتمع إلى آخر لكونها تخضع للتواضع الاجتماعي شأن اللغة المتواضع عليها[1].

إنّ الفيديو المصوّر لتميم البرغوثي الّذي نشره في الأسبوع الأول من اندلاع الحرب على غزّة والّذي خطابه فيه محلّ الدّراسة تحمل الحركات الشّخصيّة فيه دلالة قويّة وتداوليّة واضحة تتّجه كلّها نحو إقناع المتلقي والتأثير فيه. فمقارنة بالفيديو "تحريرها كاملة ...ممكن"، الّذي نشره سنة 2021 وأثناء الحرب الّتي شنّها الصهايّنة على قطاع غزّة قد بدا فيها تميم منكسرا أغبر الملامح، بعيد عن آلة التّصوير، وقد صرّح في خطابه أنّه في حداد. في حين أنّ الفيديو-" تحريرها كاملة قد بدأ"- قيد الدّراسة قد بدا فيه في همّة عالية وقربه من آلة التّصوير دليل على ذلك، ثمّ إنّ ثباته ونبرة صوته القويّة فيه دلالة على قوّة الروح القتاليّة

[1]- ينظر: بلومفيلد، اللغة، ص39-42.

والّتي يحاول بثّها في نفوس متلقّيه خاصّة أهل غزّة، لذلك نراه جالسا على كرسي وما يحرّك من جسمه إلّا يده اليمنى في علامات تأكيديّة على ما يقول.

والحال ذاتها مع الإضاءة والسّواد الّذي يغطي المساحة فالضوء قليل يسطع على جزء قليل من جسم الشاعر الخطيب تميم البرغوثي، وكأنّا بلسان الحال يقول الحرب ظلام دامس ولكن رغم ذلك فهناك أمل في تحرير فلسطين كاملة.

في الختام نتوصل إلى جملة من النتائج:

- بأنّ الدّراسة التّداوليّة للخطاب السّياسي دراسة داخليّة ولكنّها تركز على التّلفظ، ليكون بذلك الخطاب السّياسي وكما يقول "غجليون" هو "خطاب تأثير"، فطبيعة الخطاب السّياسي التّوجيهيّة تؤطّر هدفه العام وهو التّأثير في الآخر وجعله يبادر إلى العمل، يفكّر، ويعتقد...الخ.
- تعتبر العوامل والروابط في نظريّة الحجاج عنصران من العناصر الّتي تساعد على انسجام الخطاب حتّى يصل إلى مبتغاه من توجيه المتلقي إلى النتيجة المرادة أو ما يسمّى بالوجهة الحجاجيّة.
- إنّ تحليل الخطاب السّياسي لا يمكن أن يتوقف عند حدود البنى اللّغويّة، وإنّما يتعدّاه إلى ما فوق النّص وهي عناصر غير لغويّة تعطيه أبعادا متعدّدة ولا تنفصل عن القول ذاته.
- إنّ القوّة التّأثيريّة في خطابات الدكتور تميم البرغوثي لا تقل عنها في خطاباته الشّعريّة.
- ينمّ الخطاب الذي بين أيدينا عن القدرة الخطابية لتميم البرغوثي وعن سعة ثقافته، خاصّة وأنّه أستاذ باحث في العلوم السيّاسيّة.

جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم المجلس العلمي للكلية كلية الآداب العربي و الفنون

خاتمة

لقد سعينا من خلال هذه المحاضرات إلى بناء تصوّر معرفيّ متكامل حول التّداوليّة وتحليل الخطاب، من حيث الأسس المعرفيّة في جانبيها النّظري والتّطبيقيّ. وقد وقفنا في رحلتنا هذه على أهمّ المفاهيم المركزيّة للفكر التّداوليّ، كأفعال الكلام، والملاءمة، والمقصديّة، وقواعد التّخاطب والإشاريات وغيرها من الآليات التّواصليّة الّتي تشكل ركائز البحث التّداولي للّغة. كما تناولنا في محور تحليل الخطاب، علاقة اللّغة بسياقها، وتعدّد مستويات التّأويل، ودور المتكلم والمتلقّي في إنتاج المعنى، لنختمها بتطبيق شامل بعناصر التّحليل التّداوليّ

ولقد تبيّن لنا من خلال هذا المسار أنّ الخطاب لا يمكن قراءته قراءة ناجعة إلّا باستحضار العناصر السّياقيّة، والنّوايا التّواصليّة، بالموازاة مع البنيّة الدّاخليّة للخطاب، فالتّفاعل بين البنيّة والاستعمال يمثّل مفتاحا أساسا لفهم الأبعاد العميقة للخطابات على اختلاف أنواعها. وعليه خلصنا إلى جملة من النتائج، وهي:

- التداولية تُعد من أهم مجالات البحث اللغوي التي تهتم بدراسة اللغة في سياقها العملي والتواصلي. فهي تركز على كيفية استخدام اللغة لتحقيق الأغراض التواصلية وفهم المعاني الضمنية التي تتجاوز الكلمات والجمل المنطوقة. كما تُبرز التداولية دور السياق في تشكيل المعنى وتفسيره، مما يجعلها أداة أساسية لتحليل اللغة وفهم التفاعلات الإنسانية.
- تمثل التداولية مجالًا غنيًا يسهم في توسيع مداركنا حول كيفية استخدام اللغة كوسيلة للتفاهم وبناء العلاقات الاجتماعية، ما يجعلها محورية ليس فقط في اللسانيات، بل أيضًا في مجالات أخرى كالفلسفة، وعلم النفس، والتواصل.

- نشأت التّداوليّة كفرع مميز من الدراسات اللغوية، حيث جمعت بين مختلف التخصصات كاللسانيات والفلسفة وعلم النفس لتفسير الظواهر اللغوية في سياقاتها التفاعلية. لقد تطورت التداولية عبر مراحل متعددة، بدءًا من الإسهامات الفلسفية لعلماء مثل بيرس وأوستين وسيرل، وصولًا إلى تطورها كعلم مستقل يدرس الاستخدام الفعلي للغة في الحياة اليومية.

- هذا التطور يعكس حاجة متزايدة لفهم اللغة كوسيلة تواصل اجتماعي، تُبنى فيها المعاني بناءً على السياق والمقاصد التفاعلية. بذلك، تظل التداولية مجالًا مفتوحًا للإبداع والبحث العلمي، مما يتيح للباحثين فرصة استكشاف أبعاد جديدة لفهم اللغة والتواصل.

- إنّ مجال البحث التّداوليّ قد تأسس وتطور بفضل الإسهامات الفكرية العميقة لعدد من العلماء والمفكرين، مثل تشارلز بيرس، وجون أوستين، وبول غرايس، وجون سيرل. قدم كل منهم رؤى مختلفة أسهمت في بناء هذا الحقل المعرفي، حيث ركزوا على الجوانب المتعلقة بالسياق، والنية، والتأويل، وأفعال الكلام.

- تؤكد هذه الإسهامات أن التداولية ليست مجرد دراسة للغة، بل هي أداة لفهم التفاعل الإنساني وتعقيداته. وبفضل هؤلاء الرواد، أصبحت التداولية مجالًا حيويًا يمتد تأثيره إلى ميادين متعددة، مما يعزز فهمنا للغة كوسيلة للتواصل الفعّال والمعنى المشترك.

- تُظهر التداولية تكاملاً مثيرًا مع العديد من التخصصات العلمية. فهي تتقاطع مع الفلسفة في دراسة المعنى والنية، ومع علم النفس في فهم العمليات الإدراكية والتفاعلية، ومع علم الاجتماع في تحليل البُعد الاجتماعي للتواصل، ومع علوم الاتصال في دراسة أساليب نقل الرسائل.

- تؤكد هذه العلاقة الوثيقة أن التداولية ليست علمًا مستقلًا فحسب، بل هي جسر يربط بين مختلف العلوم لفهم اللغة بوصفها ظاهرة إنسانية واجتماعية متعددة الأبعاد. هذا التكامل يبرز أهميتها في تحليل التواصل الإنساني على نحو أكثر شمولية ودقة.
- إن التخاطب والتداولية يشكلان ركنين أساسيين في دراسة التواصل الإنساني. التخاطب يمثل الجانب العملي للتفاعل بين الأفراد، بينما التداولية تقدم الأسس النظرية لفهم أعمق للغة في سياقها الاجتماعي والتواصلي. يجتمع كلاهما لتوضيح كيفية استخدام اللغة ليس فقط لنقل المعلومات، بل أيضًا لتحقيق المقاصد وفهم المعاني الخفية التي تتجاوز الكلمات المنطوقة. بذلك، يساهمان في بناء رؤية شاملة للتواصل الإنساني بجوانبه اللغوية والسياقية.
- إنّ هذه النظرية تمثل إحدى أهم إسهامات التداولية في دراسة اللغة والتواصل. من خلال تصنيف أفعال الكلام إلى تصريحية وتوجيهية وتعبيرية وغيرها، سلطت النظرية الضوء على الدور الفعلي للغة كأداة لتحقيق الأهداف والتأثير في الآخرين، وليس فقط كوسيلة لنقل المعلومات.
- تُبرز أفعال الكلام أهمية النية والسياق في تحديد معنى الرسالة وفهمها، مما يجعلها أداة أساسية لتحليل التفاعلات اللغوية اليومية. هذا المفهوم يعمق فهمنا للغة بوصفها عملية ديناميكية تتجاوز البنية اللغوية إلى الجوانب الوظيفية والاجتماعية.
- تبرز أهميّة الإشاريات كمبحث بالغ الأهميّة في التداولية بوصفه أداة لفهم المعاني السياقية التي تتجاوز حدود الكلمات. الإشاريات تُظهر بوضوح أن اللغة لا تُفهم بمعزل

عن سياقها الزماني والمكاني والاجتماعي، حيث يعتمد معناها على العلاقة بين المتحدث والمخاطب وظروف الخطاب.

- يمثل فهم الإشاريات خطوة ضرورية لتحليل التواصل الإنساني بدقة، مما يعزز القدرة على تفسير النصوص والخطابات في ضوء المعاني الضمنية التي تعكس طبيعة اللغة كوسيلة ديناميكية ومرتبطة بالسياق.

- إنّ فهم قواعد التّخاطب يعد من الجوانب الأساسية في دراسة التواصل الفعّال. تركز قواعد التخاطب على المبادئ التي تحكم التفاعل بين الأفراد أثناء استخدام اللغة، مثل وضوح الرسالة، والاحترام المتبادل، والالتزام بالسياق الاجتماعي. من خلال دراسة هذه القواعد، يمكننا أن نرى كيف تؤثر العوامل الاجتماعية والثقافية على أساليب التخاطب وكيفية ضمان أن يكون التفاعل ناجحًا وملائمًا.

- يمكننا أن نؤكد أن الحجاج يمثل أحد أبرز الجوانب التداولية التي تركز على كيفية استخدام اللغة لإقناع الآخرين وتوجيه آرائهم. من خلال تقنيات الحجاج، يُظهر المتحدثون كيف يمكن تشكيل المواقف، وتقديم الأدلة، وبناء الحجج لإقناع المخاطب أو التأثير في تصرفاته.

- تُعتبر دراسة الحجاج أساسية لفهم كيف يمكن للغة أن تكون أداة للتأثير والتغيير في الفكر والسلوك البشري. كما أن الحجاج يتجاوز البنية اللغوية ليشمل التفكير النقدي، مما يعزز قدرتنا على تحليل النصوص والرسائل بشكل أعمق. وبالتالي، يمثل الحجاج عنصرًا أساسيًا في فهم عملية التفاعل الاجتماعي والتواصل الإقناعي في الحياة اليومية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المجلس العلمي للكلية
كلية الآداب العربي و الفنون

- في التداولية عند العرب، نجد أن الثقافة العربية قد أسهمت بشكل كبير في تطوير مفاهيم تتعلق باستخدام اللغة في سياقاتها الاجتماعية والتفاعلية، حتى قبل أن تُعرف التداولية كعلم مستقل. فقد تميزت اللغة العربية بثراء في أساليب التعبير، مثل البلاغة والفصاحة، التي كانت تهتم بتأثير اللغة على المتلقي في سياقات متنوعة.
- لقد ساهم علماء اللغة والفلاسفة العرب، مثل الجاحظ وابن جني، في دراسة تأثير السياق الاجتماعي والنفسي على فهم اللغة والتفاعل اللغوي. هذه الدراسات المبكرة شكلت الأسس التي اعتمد عليها العلم الحديث في تداولية اللغة. بذلك، نجد أن جذور التداولية العربية تمتد عميقًا في التراث اللغوي العربي، مما يعزز فهمنا للعلاقة المعقدة بين اللغة والسياق في التواصل البشري.
- إنّ التّداوليّة وهي تقوم بتحليل الخطاب، تقدّم أدوات فعّالة لفهم اللّغة في بعدها الاجتماعي والتّواصليّ، كما تفتح آفاقا واسعة للبحث في النّصوص السّياسيّة، والدّينيّة والإعلاميّة، والأدبيّة، من خلال مساءلة العلاقة بين اللّغة والسّلطة، واللّغة والهويّة، واللّغة والمعرفة.

نأمل أن تكون هذه المحاضرات قد أسهمت في ترسيخ وعيّ لسانيّ نقديّ لدى الطّلبة، وأن تشكّل منطلقا للبحث والمساءلة والتّحليل في المشاريع الأكاديميّة المستقبليّة.

المصادروالمراجع

قائمة المصادروالمراجع

1 - طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التّراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ لبنان، ط02.

[2]- فليب بلانشيه، التّداوليّة من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر حباشة، دار الحوار للنشر ، سوريا، ط01، .2007

[3]- خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، دار الحكمة للنشر والتوزيع، جامعة سطيف- الجزائر-، ط1، 2009م.

[4] - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، ط1، 1991، مج2.

[5]- منى فهمي محمد غيطاس، الخطابة والتداولية نحو أداة إجزائية لتلقي النص الخطابي، مجلة الدراية، محكمة علمية، د. ط، العدد 15، 2015 م.

[6]- طه عبد الرحمان، تجديد المنهج في تقويم التراث، الرباط، المغرب، ط1، 1993م.

[7]- فرانسواز أرمينكو، المقاربة التّداوليّة، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، 1986.

[8]-عادل مصطفى، مدخل إلى الهرمو نيطيقا، نظريّة التّأويل من أفلاطون إلى غادامير، منشورات دار النّهضة العربيّة، ط01، 2003، لبنان.

[9]-محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، ط1، دار الثقافة، الدار البضاء، 1986.

[10]- العيّاشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التّداول اللّساني، دار الإيمان/ منشورات الاختلاف، المغرب/ الجزائر، ط01، 2011.

[11]- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النّص، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دط، دت.

[12]- صلاح إسماعيل، فلسفة العقل دراسة في فلسفة سيرل، دار قباء للنشر، القاهرة، 2007.

[13]- باسم خيري خضير، التّداوليّة وتحليل الخطاب (الرؤى والتمثلات)، الشركة العربية المتحدة، مصر، ط01، 2017.

[14]- إدريس مقبول، الأسس الابستمولوجيّة والتّداوليّة للنظر النّحوي عند سيبويه، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2007.

[15]- جمال حمود، فلسفة اللغة عن لودفيغ فيتجنشتاين، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط01، 2009.

[16]- فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2007 م.

[17]- منى فهمي محمد غيطاس، الخطابة والتداولية نحو أداة إجرائية لتلقي النص الخطابي.

[18]- جواد ختام، التداولية أصولها و اتجاهاتها، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2016م.

[19]- عبد الحميد السيد، دراسات في اللسانيات العربية، بنية الجملة العربية، التراكيب النحوية و التداولية، علم النحو و علم المعاني، دار مكتبة الحامدة، عمان، ط 1، 2004 م.

[20]- بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التّداولية، شمس للنّشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2005.

[21]- مسعود صحراوي، التّداولية عند علماء العرب، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

[22]- محمد عديل عبد العزيز علي، التّداوليّة وتحليل الخطاب الجدلي، قراءات تحليليّة في أسس الحجاج وبناء الاستدلال، عالم الكتب الحديث، إربد، ط01، 2016.

[23]- نعمان بوقرة، الخطاب الأدبي ورهانات التّأويل قراءة نصيّة تداوليّة حجاجيّة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط01، 2012.

[24]- باسم خيري خضير، التّداوليّة وتحليل الخطاب "الرؤى والتمثلات"، الشركة العربية المتحدّة، ط01، 2017.

[25]- سماح رافع محمد، المذاهب الفلسفيّة المعاصرة، مكتبة مدبولي، ط01، 1973.

[26]- الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللّسانيات التّداوليّة، لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1996.

[27]- جورج يول، التّداوليّة، تر: قصي العتابي، الدّار العربية للعلوم ناشرون/ دار الأمان، لبنان/ الرباط، ط01، 2010.

[29]- جمبل حمداوي، التّداوليات وتحليل الخطاب، شبكة الألوكة www.alukah.net.

[30]- مسعود صحراوي، التّداوليّة عند العلماء العرب، دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التراث اللّساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط01، 2005.

[31] - فرديناند ديسوسير، علم اللغة العام، تر: يوئيل يوسف عزيز، دار الكتب للطباعة والنشر، العراق، 1988.

[33]- أحمد المتوكل، الوظائف التّداوليّة في اللّغة العربيّة، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، المغرب، ط01، 1985،.

[34]- أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط02.

[35]- جون ليونز، اللغو والمعنى والسياق، تر: عباس صادق الوهاب، سلسلة المائة كتاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط01، 1987.

[36]- محمد الأخضر الصبيحي، اللسانيات التّداوليّة وأثرها في تعليميّة اللغات، مقال، مجلة منتدى الأستاذ، الجزائر، العدد03، أفريل، 2007.

[37]- محمد علي يونس، مقدمة في علمي الدّلالة والتّخاطب، دار الكتاب الجديد، ليبيا، ط01، 2004.

[38]- أحمد فهد صالح شاهين، النّظريّة التّداوليّة وأثرها في الدراسات النّحويّة المعاصرة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط01، 2015.

[39]- جورج يول، التّداولية، ص20.

[40]- فان ديك، النص والسّياق، استقصاء البحث في الخطاب الدّلالي والتّداولي، تر: عبد القادر قنيني، دار إفريقيا الشّرق، الدار البيضاء، د.ت.

[41]- عبد الهادي بن ظافر الشّهري، استراتيجيات الخطاب –مقاربة لغوية تداولية- دار الكتاب الجديد المتحدّة، ليبيا، ط01، 2004.

[42]- محمد سامي أنور، اتجاهات جديدة في دراسة المعنى اللّغوي، المجلة العربية للعلوم الإنسانيّة، الكويت، ع22، المجلد 06، .1986

[43]- عبد الجليل الأزدي، التواصل والتواصل السياسي، مجلة فكر ونقد، المغرب، ع36، 2001.

[44]- جواد ختام، التّداولية أصولها واتّجاهاتها، ص: 20.

[45] - أحمد عبد الحميد عطية، الفلسفة التّحليلية : ماهيتها مصادرها ومفكّروها، العنبة العباسية المقدسة، المركز الإسلامي للدّراسات الإستراتيجية، 1440هـ، 2019م.

[46] - العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التّداول اللّساني من الوعي بالخصوصيات النّوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضّابطة لها، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1437هـ، 2011م.

[47] - السكاكي، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1987.

[48] - أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، دار الكتاب الجديد المتحدة، الرباط، المغرب، ط1، 1989.

[50] - فان ديك، علم النص، ترجمة وتعليق سعيد حسن البحيري، دار القاهرة، ط2، 2005م.

[51] - فان ديك، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2000م ص:125

[52] - جون أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، ترجمة عبد القادر قنيني، ،الدار البيضاء، إفريقيا الشمالية، ،1991،ص:17

[53] - محمود أحمد نحلة، افاق جديدية في البحث اللغوي المنعاصر، دار المعرفة الجامعية،مصر،2002.

[54] - حورية زلاقي، دروس في اللسانيات التداولية،2018.

[55] - عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، ط1،2003.

[56] - ابن جني، الخصائص، تح : عبد الحكيم بن محمد، المكتبة التوفيقية، ج01.

[57] - محمد سويرتي، اللغة ودلالاتها، تقريب تداولي للمصطلح البلاغي، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مجلد28، ع03، يناير/مارس 2000.

[58] - ميشال هوي، التّفاعل النّصي، مقدّمة لتحليل الخطاب المكتوب ..

[59]- موسى إبراهيم الإبراهيم، المدخل إلى أصول الفقه وتاريخ التّشريع، شركة الشّهاب، الجزائر، 1989.

[60] - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين،ج01.

[61] - الباقلّاني، إعجاز القرآن.

[62] - مطير بن سعيد بن عطيّة الزّهراني، استقبال النّص عند الجاحظ، السّابق .

[63] - محمد خليفة محمود، التّوحد الإبداعي في نحو النّص.

[64] - العربي قلايلية، أهميّة البلاغة والتّواصل في العاميّة التّعليمية، مقال.

[65] -تمام حسّان، اللّغة العربيّة معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط04، 2003.

[66] - سعيد حسن البحيري، اتجاهات لغويّة معاصرة في تحليل النّص، مجلّة علامات، ج38، م10، ديسمبر2000.

[67] - ابن رشيق القيرواني، العمدة، ج01.

[68] - ابن المدبّر، الرّسالة العذراء، .

[69] - عبد الخالق فرحان شاهين، أصول معايير النّصيّة، رسالة ماجستير، إشراف: عقيل عبد الزّهرة مبدر، جامعة الكوفة، العراق، 2012.

[70] - عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النّظريّة التّداوليّة، دار الأمل، الجزائر، ط2، 2013.

[71]- عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته.

[72]- ابن منظور، لسان العرب، مادة خ ط ب، دار صادر، بيروت، 1994.

[73] - محمد يعقوبي، أصول الخطاب الفلسفي، الجزائر، .1995

[74]-بلومفيلد، اللغة، .

[75]- عبد الهادي ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2004.

[76]- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، بيروت،ط1، 1998.

المراجع بالأجنبية:

[75]-P. Bourdieu, La distinction, critique sociale de jugement, minuit, paris, 1979.

[76] - G.Siouffi et D.V.Reamdonk : 100 fiches pour comprendre la linguistique: [77]D.Maingueneau, pragmatique puor le discours littéraire,.

[78]- F. Latraverse, La pragmatique (histoire et critique).

[79] - D.Maingueneau, pragmatique puor le discours littéraire.

[80] - J.Mochler et anne reboule : Dictionnaire encyclopédique de Pragmatique, seuil, France, octobre, 1994.

[81]-Charaudeau (Patrick), Maingueneau (Dominique), Dictionnaire d'analyse du discours, Paris, Edution du Seuil,2002.

[82]- : A-Reboul :Rhétorique et stylistique de la faction, presse universitaire de Nancy, 1992.

[83]- Reisigl, M (2011) Critical Discourse Analysis and Pragmatics :Commonalities and Defferences. In Christopher Hart. Critical Discourese Studies in Context and Congnition. (Eds). Amesterdam/ Philadelphia : John Benjamins publishing Company.

المجلس العلمي للكلية

فهرس المحتويات

فهرست البحث

الرقم	الموضـــــــــــــوع	الصفحـــــة
01	تـمـــهـــيـــــــــــــد	01
02	المحاضرة الأولى: التّداوليّة: المفهوم والاصطلاح	04
03	المحاضرة الثّانيّة: التّداوليّة: بين النّشأة والتّطور	15
04	المحاضرة الثّالثة: التّداوليّة: التّطوروالرّواد	23
05	المحاضرة الرّابعة: علاقة التّداوليّة بالعلوم الأخرى -1	28
06	المحاضرة الخامسة: علاقة التّداوليّة بالعلوم الأخرى -2	36
07	المحاضرة السّادسة: التّخاطب والتّداوليّة المهام والاهتمامات والغايات	46
08	المحاضرة السّابعة: أجراءات التّحليل التّداولي أ- أفعال الكلام	53
09	المحاضرة الثّامنة: ب- الإشاريات.	63
10	المحاضرة التّاسعة: قواعد التّخاطب	69
11	المحاضرة العاشرة: الحجاج	77

12	المحاضرة الحاديّة عشر: جذور التّداوليّة عند العرب -1	81
13	المحاضرة الثّانيّة عشر: جذور التّداوليّة عند العرب -2	88
14	المحاضرة الثّالثة عشر: التّداوليّة وتحليل الخطاب -نص تطبيقي 1	93
15	المحاضرة الرّابعة عشر: التّداوليّة وتحليل الخطاب -نص تطبيقي 2	103
16	خاتمة:	112
17	المصادر والمراجع	118
18	فهرست المحتويات	125

المجلس العلمي للكلية